

هكذا تكلم تيريزي

أحاديث الشيخ والمريد

(٣)

◆ المؤلف: شمس الدين التبيري

◆ العنوان: هكذا تكلم تبيري - أحاديث الشيخ والمريد (3)

◆ الترجمة: نقلتها عن الفارسية: د. منال اليمني عبد العزيز

◆ الطبعة الأولى: 2023

◆ تصميم الغلاف: عمرو الكفراوي

◆ مستشار النشر: سوسن بشير

◆ المدير العام: مصطفى الشيخ



رقم الإيداع:

٢٠٢٢ / ٢٦٠٤٧

الترقيم الدولي: ISBN

978 - 977 - 765 - 360 - 2

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أى جزء منه، أو تخزينه فى نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأى شكل من الأشكال دون إذن مسبق من الناشر.

All rights are reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form, or by any means without prior permission in writing from the publisher.

Afaq Bookshop & Publishing House

1 Kareem El Dawla st. - From Mahmoud Basiuny st. Talaat Harb

CAIRO - EGYPT - Tel: 00202 25778743 - 00202 25779803 Mobile: +202-01111602787

E-mail: afaqbooks@yahoo.com - www.afaqbooks.com

١ شارع كريم الدولة - من شارع محمود بسيوني - ميدان طلعت حرب - القاهرة - جمهورية مصر العربية

ت: ٢٥٧٧٨٧٤٣ / ٠٠٢٠٢ - ٢٥٧٧٩٨٠٣ / ٠٠٢٠٢ - موبايل: ٠١١١٦٠٢٧٨٧

هكذا تكلم تبريزي

أحاديث الشيخ والمريد

(٣)

نقلتها عن الفارسية وعلقت عليها وقدمت لها

د. منال اليمني عبد العزيز

آفاق للنشر والتوزيع

هذه ترجمة كتاب:

شمس الدين محمد بن ملك داد تبريزي: مقالات شمس تبريزي، بتصحيح وتحشيه
ومقدمه احمد خوشنويس عماد، مؤسسه مطبوعاتي عطائي، تهران 1349 .

جميع الحقوق محفوظة

© آفاق للنشر والتوزيع

All rights reserved

© Afaq Publishing House 2023

البحث عن فضيحة!

إنهم حين يتحدثون، يفضحون أنفسهم. يعني: انظروا، كم نحن سيئون! فدعك منهم، حتى يكشف شاهد^(١) عن وجهه. وبمجرد أن يتحدث، ينبغي الصمت، حتى يتحدث ويتحدث ويهذي، ما دام لم يُعرب عن حاله ومعاملته. هكذا قال سيدي.

دعك من فلان وفلانة وزوجتك وسيدي وأهل بغداد جميعهم، وحتى الخليفة. ويقولون كذلك: اترك بغداد، وزنبيل^(٢) بغداد، والخليفة. وانزل النهر.

-
- (١) الشاهد: الشاهد ما يشهدك بما غاب عنك، يعني يُحَضِّر قلبك لوجوده، قال القائل:
وفي كل شيء له شاهد يدل على أنه واحد
والشاهد هو التجلي باعتبار ظهوره وحضوره، لأن الحق يظهر بصورة الأشياء، وهو المقصود بقوله: هو الظاهر.
- د. أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، مراجعة د. جورج متري عبد المسيح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٣ م، ص ١٠٢.
- (٢) الزنبيل: المراد: الزنبيل الذي كان يضعه شيوخ الصوفية في يد المريد في بداية أمره، حتى يطوف به في المدينة، ويتسول؛ بهدف القضاء على عجه وغروره.
- انظر: شمس الدين محمد تبريزي، مقالات شمس تبريزي، تصحيح وتعليق محمد علي موحد، شركة سهامی خوارزمی، چاپ چهارم، تهران، دی ماه، ص ٩١٦.

مقام السماع

إنك في مقام السماع^(٣)، وأنت تتحدث، وتأنى بعيداً عن المقصود،
وتُبعد المقصود عنك. تأتي المعشوقة إليك مزدانة بالذهب، والحلي،

(٣) السماع: السماع في اللغة بمعنى الاستماع، وجاء في بعض الرسائل أن السماع هو مجالس الأنس والطرب، وبمعنى ذكر الأمور الماضية، والسماع في العرف هو الرقص.

وفي السماع حرام وحلال وشبهة، فمن سمعه بنفس مشاهدة شهوة وهوى فهو حرام، ومن سمعه بمعقوله على صفة مباح من جارية أو زوجة كان شبهة لدخول اللهو فيه، ومن سمعه بقلب يشاهد معاني تدله على الدليل، ويشهده طرفات الجليل فهو مباح، وهذا قول الشيخ أبي طالب المكي.

والسماع استجمام من تعب الوقت، وتنفس لأرباب الأحوال، واستحضار الأسرار لذوي الأشغال.

يقول أبو القاسم البغدادى: السماع على ضربين: فطائفة سمعت الكلام فاستخرجت منه عبرة، وهذا لا يُسمع إلا بالتمييز وحضور القلب. وطائفة سمعت النغمة، وهي قوت الروح، فإذا ظفرت الروح بقوته، أشرف على مقامه، وأعرض عن تدبير الجسم، فظهر عند ذلك من المستمع الاضطراب والحركة.

وقال الجنيد: الرحمة تنزل على الفقير في ثلاثة مواضع: عند الأكل، فإنه لا يأكل إلا عند الحاجة. وعند الكلام، فإنه لا يتكلم إلا عند الضرورة. وعند السماع، فإنه لا يسمع إلا عند الوجد.

وقال أبو عبد الله النابجى: السماع ما أثار فكرة، واكتسب عبرة، وما سواه فتنة. انظر: محمد علي التهانوي وآخرون: كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، مكتبة لبنان ناشرون، الجزء الأول أ- ش، ص ٩٧١.

السهروردي، عوارف المعارف، الباب الثاني والعشرون في القول في السماع قبولاً وإثارة، ص ١٦١، ١٦٢، د. أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، ص ١٠٠، ١٠١..

وتستقبلها، فتَمْضِي مرة أخرى. حديث أرني^(٤).

صم بكم عمي

إنك لم تستفد من حكاياتي عن الدنيا في وقت ما.

كان الخصوم يسيئون القول عنه أمام أمير المؤمنين طوال الوقت. فلم يكن أمير المؤمنين يقبل ذلك، وقال: أذهب إليه بنفسي، حتى أمتحنه. قال له: إن تفسير صم بكم عمي^(٥) يصدق على الكافرين. فقال: بل يصدق عليك أنت. فاستاء أمير المؤمنين، ولم يحتمل، وقال: خذوه، وألقوه في البحر.

قيل: إنه نجا بعلم السيمياء^(٦)، وسَلِمَ، وانتصر. وجعلوا منادياً تلو

(٤) حديث أرني: إشارة إلى أن الحديث غير الصحيح: اللهم أرنا الأشياء كما هي. وورد في صيد الخاطر لابن الجوزي، قال: قد جاء في الأثر، أرنا الأشياء كما هي. وجاء في كتاب مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للملا علي القاري: قال الشيخ أبو مدين المغربي: ينبغي للسالك أن يقول دائماً -بعد امتثال الأوامر واجتناب النواهي: إلهي، أرنا الأشياء كما هي، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وارتكابه. وجاء في شرح مذاهب أهل السنة لابن شاهين: ومن أدعية من تقدم: اللهم أرنا الحق حقاً وألهمنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وألهمنا اجتنابه. islamweb.net

(٥) ﴿صُمُّ بَكْمُ عُمَى﴾. سورة البقرة، جزء من الآية ١٨.

(٦) السيمياء: السيمياء هي مجال دراسة الطقوس والتقاليد التي تمارس من أجل التواصل مع الماورائيات أو مع وجوديات لا يمكن استيعابها في العالم المادي مثل الآلهة، أو إحضارها من أجل الاتحاد معها، أو تحقيق الكمال الذاتي. وتعد السيمياء في الإسلام نوعاً من أنواع السحر المحرمة، وهو عبارة عما يركب من خواص أرضية، مثل: دهن أو مائعات أو كلمات خاصة تسيطر على وهم الأفراد.

ar.wikipedia.org

منادٍ ينادي قائلاً: كل من يأتي بخبر عنه، يحصل على ألف دينار.
أرسل الرجل رفيقاً له، وقال له: قل، إنني أعرف ذلك الرجل، وهو
موجود في داره.

قال أمير المؤمنين: انصرفوا، حتى لا يسمع أحد من الحشم كلامنا
أبداً. ويحضرون له امرأة جميلة، وأتناول الطعام معهما.
كان يضع لقمة في فمها، ويقول: تتزوجيني؟ ثم فقد صوابه،
وتحسس ذقنها برقة، وقال: الدليل على أنك تصبحين زوجتي هو: أن
نمضي معاً في هذه اللحظة. ومدَّ يده إلى قيد إزاره مازحاً.

نهض الخليفة، وجذب يده. فقال الرجل: رأيت أن صم بكم عمي
تصدق عليك؟! كان غرضي هو إثارة غضبك، وإلا فماذا عساي أن أفعل؟
لاذ بعضهم ببعض، ويتخاصمون! فأي ملاذ؟ وأين الملاذ؟

صلاحية العنب

إن للعنب مدة صلاحية، وقد تفسده البرودة خلالها. لكن الخوف
يزول بعد ذلك، إلى حد أن ذلك العنب ينمو تحت البرد.

طعام مجاني

ليس هناك غلاء قط في بلاد الروم. لقد أخطأت، وإنك تعرف هذا
الطعام جيداً، وتقول: إنه غالٍ بلا شك؛ لو أنه ليس مجانياً.

بعض كلامه حسن

لقد ذمّ السنائي^(٧)، وجلس يتحدث عن التوحيد. لمن يتحدث عن التوحيد؟ وقد استشهدت في وقت ما بقول السنائي:

لماذا حدث عن الطريق

سواء كان ذلك الكلام كفرًا أو إيمانًا؟

ولماذا تتخلى عن الرفيق والأمانى

سواء كانت تلك الصورة قبيحة أو جميلة^(٨)؟

وكنْتُ أقول له: كيف تقبل هذا؟ فكان يقول: إن بعض كلامه

حسن.

(٧) السنائي: هو أبو المجد مجدود بن آدم المتخلص بالسنائي والملقب بالغزنوي. ولد في مدينة غزنة وعاش فترة من حياته في بلخ وسرخس وهراة ونيسابور، وسافر إلى مكة، وأمضى الفترة الأخيرة من حياته في غزنة في العزلة والاعتكاف. وتوفي سنة ٥٣٥هـ على أرجح الأقوال. ويُعد رائد فن الغزل الصوفي في الفارسية، وتنسب له سبع مشنويات كذلك ألا وهي: حديقة الحقيقة، سير العباد إلى المعاد، طريق التحقيق، عشق نامه، عقل نامه، غريب نامه، كارنامه بلخ. إضافة إلى ديوان شعر.

انظر: د. إسعاد عبد الهادي قنديل: فنون الشعر الفارسي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ - ١٨٨١م، ص ٢٠٤-٢٠٥.

(٨) الأصل الفارسي للبيت:

بهرچه ازراه دور افتی چه کفر آن حرف چه ایمان

بهرچه ازدوست وامانی چه زشت آن نقش چه زیبا

شمس الدين محمد بن ملك داد تبريزي، مقالات شمس تبريزي، بتصحيح وتحشيه ومقدمه احمد خوشنويس عماد، مؤسسه مطبوعاتي عطائي، تهران ١٣٤٩، ص ٢٠٢.

اللحم والخمر والدابوق

من خصائص اللحم والخمر والدابوق أنها: تزيد الجسم صحة، إذا كان صحيحًا. وتضاعف علته، إذا كان عليلاً، لهذا يأمررون المريض باجتناّب تناول اللحم.

الباز والجيفة

يطلقون على الباز بازًا، لأنه إذا مضى -من عند الملك- إلى جيفة، فإنه لا يقع عليها، ويعود إلى الملك مرة أخرى. وما دام الباز لم يعد، ووقع على تلك الجيفة، فإنه لا يكون بازًا.

هذا هو السبب!

أدرك أن أمين الدين^(٩) هو محبوب المحبوب. ومحبوب المحبوب يكون محبوبًا. ومجيء أولئك الأمراء إليه هو السبب في أن أمراء الغيب وأرواح أولياء الغيب لا تأتي إليه. وهذه دلالة أول العمل، لكن ما دام العمل قد اكتمل، ينتهي ذلك الأمر، وتأتي الأرواح من هذه الناحية ومن تلك الناحية أيضًا.

(٩) أمين الدين: المقصود هو أمين الدين ميكائيل، نائب السلطان في قونية، ومن أشهر رجال الدولة، وكان هو وزوجته من مريدي مولانا. انظر: شمس الدين محمد تبريزي، مقالات شمس تبريزي، تصحيح وتعليق محمد علي موحد، ص ٥٩٢.

آهة الحبيب

سأله: هل صلوا؟ قال: بلى. فتأوه آهة. قال أحدهم: أمنيك أكر صلاتي طوال عمري، وامنيك أنت تلك الآهة. فقال: إنها تلزمني أيضاً. من ثم افهم الإشارة. إنه أراد أن يقول: إنه حبيب.

أختان لا تجتمعان!

إن الدنيا والآخرة أختان لا تجتمعان^(١٠). قال: لم تبقى تلك الأخت، وتبدل حالها، وتخلت عنها الأنوثة، ولم تبقى صلة الأخوة. إن موت تلك الأخت، وطلاقها، هو تبديل للحال. وما دام الموت قد حدث، يتحقق الانتباه. فإذا ماتوا انتبهوا^(١١).

طالب الحق وطالب الدين وطالب الدنيا

إن أتباع محمد ﷺ معناه: أنه عرج، فلتعرج أنت في إثره، واجتهد

(١٠) إن الدنيا والآخرة أختان لا تجتمعان. إشارة إلى قول علي بن أبي طالب: «إن الدنيا والآخرة عدوان متفاوتان وسيلان مختلفان، فمن أحب الدنيا وتولاها، أبغض الآخرة وعادها. وهما بمنزلة المشرق والمغرب، وهو ما سن بينهما كلما قرب من واحد، بعد من الآخر. وهما بعد ضربتان». حكّم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، تولى نشرها الأب لويس شيخو العيسوي arabic. balaghah.net (١١) فإذا ماتوا انتبهوا.

إشارة إلى قول علي بن أبي طالب: الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا.
المحدث: السيوطي. المصدر: الدرر المنتشرة.
خلاصة حكم المحدث: من كلام علي رضي الله عنه.
الموسوعة الحديثية، الدرر السنية. dorar.net.

في أن تحصل على سكينه القلب، ولمّا تطلب الدنيا، لا تطلبها باللسان، بل بمباشرة الأسباب. ولما تطلب الدين، لا تطلبه باللسان، بل بالمدامه على الطاعة. ولما تطلب الحق، اطلبه بالمدامه على خدمة الرجال.

يجب أن يكون جليستك أفضل منك

حتى يزيد من جاهك وقدرك

لم أتكلم

كان بهاء قد رأى منامًا، وأنه كان قد سقط في ماء كدر. فكان يقول لي: خذ بيدي. ولم أفعل، فغاص بهاء في الماء وغاص.

كان قد قال: لو يحدثني بمنامي -من دون قولي- ويفسره، يكون هذا المنام مقامه. وإذا لم يحدثني به، فإن هذا المنام يعبر عن مقامي. وكان الكلام يرد على لساني، لكنني لم أتكلم.

ربنا الأعلى

المسلم كسير القلب. وقد كان السابقون مساكين، وأدركوا العشق، وجانب أحدهم الصواب، فقال: أنا الحق^(١٢). ولم يقنع المسلم والقوم

(١٢) أنا الحق: يقول الحسين بن منصور الحلاج: «وفي الأزل حيث كان الحق ولا شيء معه، نظر إلى ذاته فأحبها، وأثنى على نفسه، فكان هذا تجليًا لذاته في ذاته في صورة المحبة المنزهة عن كل وصف وكل حد. وكانت هذه المحبة علة الوجود، والسبب في الكثرة الوجودية... ثم شاء الحق سبحانه أن يرى ذلك الحب الذاتي ماثلاً في صورة خارجية يشاهدها ويخاطبها، فنظر في الأزل، وأخرج من العدم صورة من نفسه، لها كل صفاته وأسمائه، وهي آدم الذي جعله الله على صورته أبد الدهر. ولما خلق الله آدم على هذا النحو عظمه، ومجّده، واختاره لنفسه. وكان حيث ظهور الحق في صورته =

المساكين بذلك، وقالوا: ربنا الأعلى.

الفصن والشجرة

لا أرغب في أن أشرح لك، وسوف أتحدث بالرمز، وأكتفي.

إن الشرح أمامكم سوء أدب، لكن ما دمت قد اجتأتم هذه الجراءة،

فالينبوع واحد، والغصن غصن.

= فيه وبه، هو هو». وعلى هذا النحو جعل الله تعالى آدم صورة من نفسه، لها كل صفاته وأسمائه، ومجلى تجلى فيه الحق، وأصبح هو هو. ولما كان الحلاج ابن آدم، فقد شعر أنه هو الحق أيضًا، وقال:

أنا الحق والحق حق لا بس ذاته فما تمَّ ففرق
ولما قال الحلاج أنا الحق، ثار عليه الفقهاء، واتهموه بالكفر والحلول والاتحاد، فقال:

وظنوا بي حلولًا واتحادًا وقلبي من سوى التوحيد خال
كما قال: إن أحدًا لا يستطيع أن يقول أنا على الحقيقة إلا الله وحده، وأنا سر من أسرار الحق، ولست أنا الحق.

أنا سر الحق، ما الحق أنا بل أنا حق، ففرق بيننا
والحلاج لما فني عن نفسه، وبقي بالحق، واستغرق في الفناء في الذات الإلهية، نطق بحقائق التوحيد، وظن أنه الحق، فقال:

أفنيته بك عني يا غاية المتمني
أدنيته منك حتى ظننت أنك أني
وقد أرجع الغزالي قول الحلاج «أنا الحق» إلى فرط المحبة وشدة الوجد وغلبة السكر.

انظر: د. محمد جلال شرف: الحلاج الثائر الروحي في الإسلام، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية ١٩٧٠م، ص ٥٤، ٦٢-٦٤. د. منال اليميني عبد العزيز: سيرة البلبل «بلبل نامه» لفريد الدين العطار النيسابوري، دراسة وترجمة وتعليق، مكتبة الثقافة الدينية ٢٠١٤م، ص ١٠٨-١١٠.

يروى الماء ذلك الغصن تارة، ويروي هذا الغصن تارة أخرى. تارة يُفَرِّغ هذا الغصن ذلك الغصن، ويسحب الماء نحوه، والعكس. وكل من يستند إلى هذين الغصنين، يذهب إلى حافة الماء، ثم يغوص، ويبتل، ويفرغ من أمرهما.

وكذلك الشجرة، كل من أمسك غصناً منها، انكسر الغصن، وسقط. وكل من أمسك الشجرة، صارت الأغصان كلها ملكه.

حيّ المعشوق

هناك اضطراب في حيّ المعشوق. إنهم يثملون، يفقدون الوعي، ولا يسلكون الطريق إلى بيت المعشوق، ولا يدركون المعشوق.

أولوا الألباب

من هم أولوا الألباب؟ إنه لا يريد أن يملك كل شخص هذا العقل. يقول فيلسوف: إنني أتحدث عن المعقولات، وهو لا يملك أثراً من هذا العقل الرباني!

وقد ذهبت إليه، وقلت: بلى، إنني وصفت إنصافكم وفصاحتكم وتواضعكم مرات، فصمت بسبب أدب الاستماع وحسن الإصغاء.

السفر إلى القبلة

إن الشيطان يوجد في الحمام دائماً، وفي هذا الحمام ملاك الآن. هل سافر مولانا إلى القبلة؟ قال: وهل فرغ مولانا من أمر القبلة قط؟

وما عمله سوى السفر إلى القبلة، وزيارة الكعبة والحج؟ ولقد حِدتُم أنتم عن القبلة.

رأى عزيز الرسول صلوات الله عليه بعد اثنتي عشرة سنة، فقال له: يا رسول الله، إنك كنت تتجلى لي في كل ليلة جمعة، وقد تركتني طوال هذه المدة مثل سمك من دون ماء. فلماذا؟

قال الرسول ﷺ: لقد انشغلتُ بالمواساة. فقال الرجل: أي مواساة؟ قال: مواساة أمتي، فقد اتجه سبعة أشخاص فحسب خلال الاثنتي عشرة سنة هذه إلى القبلة، وجاءوا إليَّ. وكان الباقي جميعاً قد حاد عن القبلة.

الغالب والمغلوب

هذا هو معنى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّسِخُونَ﴾^(١٣). وشرحها:

وجد أبو يزيد^(١٤) نفسه متضخمة، فقال لها: لماذا هذا التضخم؟ قالت: بسبب هذا الشيء الذي لا تستطيع التغلب عليه، ألا وهو: أن الخلق يأتون إليك، ويسجدون لك، وأنت ترى نفسك مستحقاً لذلك السجود. لكنك غالب، وأنا لا أستطيع أن أغلبك في النهاية!

(١٣) ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّسِخُونَ﴾. سورة آل عمران، جزء من الآية ٧.

(١٤) أبو يزيد: هو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي، كان جده مجوسياً -يُدعى سروشان- وأسلم. وكانوا ثلاثة إخوة: آدم وطيفور وعلي، وكانوا جميعاً زهاداً وعُباداً. وتوفي أبو يزيد في سنة ٢٦١هـ.

فريد الدين العطار النيسابوري، تذكرة الأولياء، ترجمة وتقديم وتعليق د. منال اليميني عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٦م، المجلد الأول، ص ٦٤١.

وطلب أبو يزيد الزنار عند الموت! فما السر في ذلك؟ ﴿وَالْحَقِّيْ بِالصَّبْرِ﴾ (١٥).

مسكنة النفس

اجتنب أي شيء توجست منه خيفة، فإن النفس (١٦) ما دامت قد كابدت المشقة، تتسلل إليك عن طريق المسكنة قائلة: إنك تعلم، لو أنك لا تأكل، فأنا لا أريد الطعام. وما دمتُ قد علمتُ، فأنا لا أقبل. وربما تتسلل إليك عن طريق الموافقة والعلم. فدعك منها في النهاية.

انظر إلى مولانا

إنك قد عاينتَ وشاهدتَ، وإذا أردتَ أن تعرف معنى: العلماء ورثة الأنبياء (١٧)، وتدرّك الشيء الذي لا أشرحه، فانظر إلى مولانا.

(١٥) ﴿وَالْحَقِّيْ بِالصَّبْرِ﴾. سورة الشعراء، جزء من الآية ٨٣.
(١٦) النفس: أرادوا بالنفس ما كان معلومًا من أوصاف العبد، ومذمومًا من أخلاقه وأفعاله. وأشدّ أحكام النفس وأصعبها توهّمها أن شيئًا منها حسن أو أن لها استحقاق قدر. ولهذا عد ذلك من الشرك الخفي. ومعالجة الأخلاق في ترك النفس وكسرها أتم من مقاسات الجوع والعطش والسهر وغير ذلك من المجاهدات التي تتضمن سقوط القوة، وإن كان ذلك أيضًا من جملة ترك النفس. أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري: الرسالة القشيرية في علم التصوف، وعليها هوامش من شرح زكريا الأنصاري، مطبوعات مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ميدان الأزهر، ص ٧٥.

(١٧) العلماء ورثة الأنبياء. إشارة إلى الحديث: من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهل الله له طريقًا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، حتى الحيّتان في الماء، =

دعك من الأوهام!

إنك أدركت لذة الطاعة، وأخذت أجرك، وكان يجب ألا تدركها
أو تشعر بها. حتى إنك استغرقت في العالم الرباني، وتطلب الأعظم
والأسمى والأعلى.

إن الله أكبر معناها: دعك مما توهمه وتتيخله، واعلم أنه أكبر من
التصورات كلها، وإن كان التصور نبياً مرسلًا من أولي العزم^(١٨)، فإن
الله أكبر.

= وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة
الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه، أخذ
بحظ وافر.

المحدث: المنذري.

المصدر: الترغيب والترهيب.

خلاصة حكم المحدث: فيه اختلاف.

التخريج: أخرجه أبو داود والترمذي، وابن ماجه وأحمد باختلاف يسير.

(١٨) أولو العزم: أولو العزم من الرسل هم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد
عليهم الصلاة والسلام. وقد ورد ذكرهم في قوله تعالى: ﴿وَلِذَٰلِكَ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ
مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ سورة
الأحزاب، آية ٧. وهم أعظم من قام بالميثاق، أي العهد الذي بين الله وخلقهم،
وفحواه: إقامة دين الله، وعدم التفرق فيه، وإسلام الوجه له سبحانه، والدعوة إلى
ذلك، والمجاهدة فيه، والموالاته فيه، والبراءة فيه. وروي عن أبي هريرة رضي الله
عنه أنه قال: خيار ولد آدم خمسة: نوح وإبراهيم وعيسى وموسى ومحمد ﷺ،
وخيرهم محمد ﷺ، وصلى الله وسلم عليهم أجمعين. انظر: الموسوعة العقدية،
الدرر السنية، المطلب الأول، تعيين أولي العزم. dorar.net.

كلام بلا صوت!

إنهم يقولون: الحق الجميع^(١٩)، وليس هناك خلق أبدًا. فإذا لم يكن هناك خلق، لكان الكلام من دون حرف أو صوت. وحيثما وُجد الحق، فليس هناك حرف أو صوت.

السير في الله

كانت جماعة من الناس تقول: لا إله إلا هو. وكان هذان الاثنان كلاهما قد تشبثا بهذا القول، وذهبا إلى الحضرة، حتى يشاهداه. وسارا فيها مائة سنة، وكانا مثل الحلقة على الباب. ثم عادا عاجزين واهيين. وقد ذهب «ش» هذا، فأبي طفل هو!

إنها حماقة!

ذلك الشخص الذي يدّعي الحق شيء، وذلك الشخص الأحمق شيء آخر. ولن يبقى الشخص أحمق حتى يوم القيامة في النهاية.

(١٩) الحق الجميع: تعد فكرة الكل هو أو الجميع الواحد من الأفكار المتعلقة بالتوحيد التي راجت في القرنين الرابع والخامس الهجريين. ويرد عن الحلاج م٣٠٩هـ أنه قال: أنا الحق. فقال له الناس: قل هو الحق. قال: بلى، فالكل هو. وقال أبو الحسن الخرقاني م٤٢٥هـ: إلهي لا تدعني في مقام أقول فيه: أنا وأنت. وأبلغني مقامًا أفنى فيه، وتكون أنت الجميع. وقال أبو سعيد بن أبي الخير م٤٤٠هـ: لما يفتح الله باب التوحيد للعبد، يعرف أن الله هو كل شيء، وأن كل شيء هو الله. انظر: د. منال اليمني عبد العزيز: التوحيد عند أحمد الجامي ومحبي الدين بن عربي. حوليات آداب عين شمس، دورية علمية محكمة، المجلد ٦٤، العدد الأول يناير - مارس ٨١٠٢م، ص ١١، ١٢.

مريدو مولانا

لم يكن لمولانا مريدون سوى أولاده. فهم أولاده ومريدوه أيضًا.

بحر العلم

لقد حكيَتْ تلك الحكاية بالأمس، لأن القمر كان غائبًا ومظلمًا، ولكن أي ظلمة تكون إذا بقيت وقتًا أطول؟ إنه نور على نور.

إنك تسأل في البداية. ونحن نرغب في الإجابة، ونُصِرُّ عليها. وإنني أتصدى له حتى إنك تقول: أحسنت!

أقول: إن مولانا بحر في العلم والفضل. ولكن من الكرم والمروءة أن يستمع إلى كلام المسكين. إنني أعلم والجميع يعلمون أنه مشهور بالفصاحة والفضل.

يرسل ملك شخصًا إلى خليفة متباهيًا، إذ كيف يرسله ما لم يكن فصيحًا وفاضلاً؟ ولكن المسكين لا يستطيع الكلام، ما دام الخليفة لم يأمر بالاستماع إليه لحظة.

وعلى هذا النحو أجعله ذليلاً عاجزاً، وهكذا يكون في يدي -مع تلك الفصاحة- مثل حجر في يد أبي العجب. ومعلوم أن قلوب الأولياء محيطة بالأفلاك، وأن الأفلاك جميعها رهن إشارتها.

الخلاصة أنني أحتال قائلاً: لقد عزمت على الالتحاق بخدمة فلان. فقال لي: إن مولانا سوف يأتي، وإنه بلغ الغاية في اللطف والكرم والإحسان. ولما جئت إليه وجدته أفضل من ذلك. لكن شيئاً لم يتحقق

بالدعاء. كان هو صاحب خرقة، وكنت أنا صاحب خرقة أيضًا، فكيف

واصلت الليل بالنهار معه، ولم تبَقْ معي برهة؟

كان يقول في البداية: أهلاً بالشيخ الصالح. ويعني الزاهد الأحمق.

ويقول في النهاية: ذلك العالم الرجل الكفو. فأقول: إنه كرمكم يا مولانا.

قلت ذلك، حتى يدرك أنه يوجه هذا الخطاب والتعظيم لي.

قلتُ: مع فضله وعلمه هذا، فهو كافر وأنت مسلم، وكلامه سُم،

لو يصل هذا الكلام إلى سمع مسلم، لا يفيد خمسمائة حديث للرسول

ﷺ، ولا يقبله، وربما أنصتَ إلى ذلك الشخص الذي يتحدث بقوة

وبطريقة أخرى.

في أي شهر؟

هل الله تعالى حاضر وناظر في هذا الشهر، وغافل وغائب في

الأشهر الأخرى؟ وفي أي شهر هو حاضر حتى نذكره؟ ما أعجبها من

مجموعة حمقى! لكن الاتِّباع واجب، وهذا معروف.

أسلم شيطاني!

العارف لا يهزل. لكن ذلك الشخص الذي تضحك عليه الدنيا،

لماذا يضحك؟

وما لم يكن الرسول ﷺ قد قال: أسلم شيطاني^(٢٠)، لَمَا كان أحد قد آمن به.

وما دام المحتسب لا يخرج من بيته، فإنه لا يستطيع الحكم على أي شخص.

ليلة الجمعة

كنت أعلم أن صلاحه في أنني إذا كنت أمنعه من الخمر، كان يقبل ذلك.

وقد قلت له: لا تشرب الخمر ليلة الجمعة، وفعل كذلك.
ودعاه فلان ليلة الجمعة إلى الشراب، فقال: لا. إنني أُمِرت. قالوا:
نحسب أن شهر رمضان قد عاد من جديد بسبب إجابته تلك.
وقالوا أيضًا: هناك رمضان واحد في الاثني عشر شهرًا، والشهور
جميعها اثنا عشر شهرًا، وأنت تشرب الخمر طوال الاثني عشر شهرًا!
قال: بلى، لأنني لا أعلم أيها شهر رمضان!
وقد فرقتُ بينكم. ومن فرق بين حبيب وحبيبه، فرق الله بينه وبين أحبته.

(٢٠) أسلم شيطاني: إشارة إلى الحديث: روى الإمام أحمد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: ليس منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الشياطين!! قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: نعم، ولكن الله أعانني عليه فأسلم.
رواه أحمد بسند حسن والطبراني.
ملتقى أهل الحديث. ahlalhdeth.com.

اضربوا الطبول

كان محمد الغزالي رحمة الله عليه يتعلم كتاب «الإشارات»^(٢١) لأبي علي بن سينا على يد عمر الخيام^(٢٢). وكان الغزالي رجلاً فاضلاً. ولهذا السبب فإنهم يطعنون في كتابه «الإحياء» الذي استنبطه من كتاب «الإشارات».

قرأ عمر الخيام الكتاب عليه مرتين، وقال: ألا تفهم حتى الآن؟ ثم قرأه عليه مرة ثالثة، ونادى على المطربين والطحالين قائلاً: حين يخرج الغزالي من عنده، يطبلون، حتى يُعرف أنه كان يقرأ الكتاب عليه، ليفيده.

(٢١) إشارات أبي علي بن سينا: المقصود كتاب الإشارات والتنبهات لأبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا م ٤٢٧هـ. وينقسم الكتاب إلى قسمين: القسم الأول يتعلق بالمنطق والقسم الآخر يتعلق بالفلسفة، وترجم إلى اللغتين الفارسية والإنجليزية. وكتبت العديد من التعليقات عليه، ومن أشهرها تعليقات نصير الدين الطوسي والإمام فخر الرازي. انظر: ar.wikipedia.org.

(٢٢) قصة عمر الخيام مع محمد الغزالي: هناك رواية أخرى لهذه القصة في كتاب آثار البلاد لذكرى القزويني، ولكن لم يذكر فيها اسم الغزالي، على النحو الآتي: «وحكى أن بعض الفقهاء كان يمشي إليه كل يوم قبل طلوع الشمس، ويقرأ عليه درساً من الحكمة، فإذا حضر عند الناس ذكره بالسوء. فأمر عمر بإحضار جمع من الطبالين والبوقيين، وخبأهم في داره. فلما جاء الفقيه على عادته لقراءة الدرس، أمرهم بدق الطبول والنفخ في البوقات، فجاءه الناس من كل صوب، فقال عمر: يا أهل نيشابور، هذا عالمكم، يأتيني كل يوم في هذا الوقت، يأخذ مني العلم، ويذكرني عندكم بما تعلمون، فإن كنت أنا كما يقول، فلائي شيء يأخذ علمي، وإلا فلائي شيء يذكر الأستاذ بالسوء؟».

نقلاً عن: شمس الدين محمد تبريزي، مقالات شمس تبريزي، تصحيح وتعليق محمد علي موحد، ص ٨٩٨.

ذلك الشخص الذي كان يدعي قائلاً: أنا الحق

يكفيه أنه سُئِنَ بهذا الحبل

زنجي بين الحسان!

ذات مرة أنشد مريد من مريدي الشيخ شهاب الدين بيتاً أمام الشيخ في مجلس السماع. فقال الشيخ: لتتكسر رقبتك، ولينقطع لسانك. فمن كان يطيق أن ينشد شخص بيتاً هنا؟ إن ذلك المكان الذي تجلى فيه الحق، وكُشِفَتْ فيه الحجب يكون كله عيون، فأى مجال للألسنة؟ وكل من لا يعتريه حال في هذا المقام، ينكشف، ويُفْضَح، ويمتلئ بالنجاسة مثل المرحاض، ويصبح عارياً ذليلاً مفعماً بالهوى والشهوة مثل زنجي بين الحسان!

نور في صدري

رأيتُ شمعاً ونوراً في صدري على حين غرة، وقد انبعث ضوء من هذا الصدر مثل ضوء الشمس. وكنت أحيأ على هذا النحو. لما رأى الشيخ أن عمامتي قد وقعت، خلع عمامته، وكان يقول: إنني أنظر إلى نفسي، فأرى عروقي كلها وأعصابي وعظامي وشراييني وأمعائي بذلك النور. وحين أراه، لا أرى شيئاً آخر.

قرآن وحديث

لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر^(٢٣). هذا الحديث أفاد معنى تلك الآية: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾^(٢٤). وتجاوزها بأربعة قطعان من الخيل. ولقد ذكر كَذَبَ هنا، لتكون دليلاً على الْحَجَب. وذلك قرآن، وهذا حديث.

إنه قلما كشف الأسرار في القرآن، والقرآن مشهور في العالم، وهو قمر سائح ومشار إليه بالبنان.

كلام الدرويش

لقد جال بخاطري أنه ما دام لا يجب النهل من أي نبع، فإن الفرقة لن تقع بيننا، فكيف ير حل إذن؟

إنك لم تقل إن شاء الله. ولا يطيب لي ذلك من دون شك. بلى، لَمَّا تحدثت، قلتُ أنا حينئذ: إنك تشبه الشيخ محمد، وكان ذلك سبباً

(٢٣) لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

إشارة إلى الحديث القدسي: «قال الله تبارك وتعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر». قال أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]. قال أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح: قرأ أبو هريرة: قُرَاتِ أَعْيُنٍ. الراوي: أبو هريرة. المحدث: البخاري.

المصدر: صحيح البخاري. خلاصة حكم المحدث: صحيح.

التخريج: أخرجه البخاري ومسلم. الموسوعة الحديثية، الدرر السنية. dorar.net.

(٢٤) ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾. سورة النجم، آية ١١.

للمحبة، كان ذلك نفسه. لكن السبب الأصلي كان شيئاً آخر، حدث لي منذ البداية.

لقد ملأتُ قدحاً، ولا أستطيع أن أشربه، كما أنني لا أستطيع أن أسكبه! ولا يسمح لي قلبي أن أتركه، وأمضي.

كما أنني تبُّتُ عما فعلته مع الآخرين. فدعك من تلك العادة. المجاز قنطرة الحقيقة، والحقيقة قنطرة المجاز.

إذا لم أجد هذه الليلة، كان شيء يحدث بيننا، وينقضي. وكانت الفرقة تقع في هذا الحال.

وإذا كنا نقضي الليالي متفرقين في غير هذا الحال، فلا بأس. لكن هكذا يحدث لهذا السبب. فاحفظ كلام الدرويش، لأنه لا يستطيع أن يقول لك السبب.

القنطرة الخربة

يُنعم الله تعالى بالبال والمال. الدنيا قنطرة^(٢٥). من ثم فإن القنطرة

(٢٥) الدنيا قنطرة. إشارة إلى الحديث: «رأى بعض أصحابه بيني بيتاً من جص، فقال: أرى الأمر أعجل من هذا».

أخرجه أبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن عمرو، وقال: حسن صحيح. وإلى هذا أشار عيسى عليه السلام، حيث قال: الدنيا قنطرة، فاعبروها ولا تعمروها. وهو مثال واضح، فإن الحياة الدنيا معبر إلى الآخرة، والمهد هو الميل الأول على رأس القنطرة، واللحد هو الميل الآخر.

محمد بن محمد الغزالي (أبو حامد): إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ج٣، ص ٢١٥. www.islamport.com.

خربة، تحتها نار مستعرة. وقد جمع متاعه فوق تلك القنطرة، واستقر عليها، ولاذ بها! وقد قالوا عن النساء: شاوروهن وخالفوهن^(٢٦). وهم يفعلون هذا مع الحق تعالى.

هذه الدنيا هي الجسد ذاته، فلماذا تنشغل بعمارتها؟ قدر ما لا بُد^(٢٧) وكفى، والباقي لا شيء.

نعل فوق رأس!

قالوا: إن ابنك كثيرًا ما يدور في السماع. وفي تلك اللحظة التي بدأوا فيها السماع، قال: قف يا محمد، فوقف. فظهرت مطرقة في لحظة، وشجّت رأسه، وسال الدم على سقف المنزل.

قال: إذا لم تكن ابني، لكنتُ أضع نعلك فوق رأسي. وبمجرد أن كان أطفاله يقذفون الكرة على المصلي، كان يعفو عنهم. ولما صار محمد مجربًا ومعروفًا، كان يرمي الكرة على المصلي، ويقول

(٢٦) شاورهن وخالفوهن.

المحدث: السيوطي. المصدر: الدرر المنتشرة.

خلاصة حكم المحدث: باطل لا أصل له.

الموسوعة الحديثية، الدرر السنية. dorar.net.

(٢٧) قدر ما لا بد.

قال الصفوري في نزهة المجالس ومنتخب النفائس: فإن قيل محمد ﷺ أشرف الخلق، فكيف قال: حبيب إليّ من الدنيا ثلاث: الطيب والنساء وقرة عيني في الصلاة؟ فالجواب أن هذه الثلاثة وإن كانت في الدنيا صورة، فليست منها حقيقة، لأن المذموم من الدنيا هو الزائد على قدر الكفاية، وأما ما لا بد منه من مسكن وزوجة وقوت، فليس من الدنيا المذمومة. www.islamport.com

له: عاقبني. فكان يتسم، وكأنه كان واثقاً بشيء.

الجمال المحجوب

اطلب شاهداً، حتى تصير عاشقاً. وإذا لم تصبح عاشقاً كاملاً بواسطة هذا الشاهد، فاطلب شاهداً آخر. فما أكثر الجمال المحجوب! وهناك معشوق آخر تعبد، وتطمئن إليه.

معنى الحرية

ما معنى الحرية، مع الانشغال بالطعام والملبس؟ وليس هناك عبد قط غير مهموم بها؛ والله تعالى يرزقه بالطعام والملبس. فأني عشق له بالطعام؟

المبذرون

﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾^(٢٨). والمبذرون هم من ينفقون بضعة دراهم في الحَمَارَات. ما معنى هذا؟ المبذرون هم الذين يضيعون العمر العزيز -الذي هو أساس السعادة الأبدية- هباء.

لأفرض أنه ليست هناك عقوبة. ألا تتحسر على وضع مثل هذا الجواهر تحت حجر وضياعه؟ ولو أن البراهين تدل على أن الشمس آلت إلى الزوال، فأني مجال للشبهة؟ لقد ارتدى ثياب النوم، وكأنهم خلقوه من أجل النوم!

وقد ثبت يقيناً أن ذلك الجواهر ليس للجميع، لكن يجوز إظهاره

(٢٨) ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾. سورة الإسراء، جزء من الآية ٢٧.

بالوعظ، حتى يتحرك الجميع. فادع الجميع.

إن البعض ليست له قوة، والبعض الآخر لا خبر له عن القوة، وقد خارت قواهم. ولكنَّ يتحرك الجميع، يفيدون بحكم الموافقة.

قيمة الوقت

لأن قوله: فمن أصاب من ذلك النور^(٢٩)، دلَّ على أن ذلك النور ما وصل إلى الكل. فطوبى لمن كانت فترته إلى سنة^(٣٠).

يعني أنه كان يؤدي خدمة، فأصابه ملل، فشرع في أداء خدمة أخرى في ذلك المنزل. قال: إنه يتقيد بالوقت. قال: بل إن الوقت يتقيد به، لأن الوقت أثر زمانه.

(٢٩) فمن أصاب من ذلك النور. إشارة إلى الحديث:

إن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة، فألقى عليهم من نوره، فمن أصاب من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضل. فلذلك أقول: جفَّ القلم على علم الله. الراوي: عبد الله بن عمرو. المحدث: الألباني.

المصدر: صحيح الترمذي. خلاصة حكم المحدث: صحيح. الموسوعة الحديثية، الدرر السنية dorar.net.

(٣٠) طوبى لمن كانت فترته إلى سنة.

إشارة إلى الحديث: إن لكل عمل بشرّة، ولكل بشرّة فترة، فمن كانت فترته إلى سني فقد اهتدى، ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك.

الراوي: عبد الله بن عمرو.

المحدث: الألباني.

المصدر: صحيح الجامع.

خلاصة حكم المحدث: صحيح.

الموسوعة الحديثية، الدرر السنية. dorar.net.

أردتُ الذهاب إلى الحمام، لكن كان هناك قيد، وكان ينبغي عليّ الخروج بسرعة من أجل الدعوة. وكان يلزماني أيضًا المكوث كثيرًا في الحمام، حتى يتم الحمامي عمله. وربما لانت القاذورات، فكيف أحملها إلى المنزل؟

ينبغي أن يأتوا بالقاذورات من المنزل إلى الحمام، وألا يحملوها من الحمام إلى المنزل، ويتركوها فيه! هكذا يكون قلبي، ولو أنه ليس حسنًا، لكنني قلما أتحدث بالرمز.

أضغاث أحلام

اصطحب يهودي ومسيحي ومسلم في طريق، ووجدوا ذهبًا، وأعدوا الحلوى، وقالوا: إن الوقت متأخر، سوف نتناولها غدًا، وإنها قليلة، تليق بذلك الشخص الذي يرى منامًا حسنًا. وكان غرضهما ألا يعطيا المسلم شيئًا منها.

نهض المسلم في منتصف الليل. فأَي مجال للنوم؟ إنه عاشق محروم، وينام! وأسرع، وتناول الحلوى كلها.

قال المسيحي: نزل عيسى، وجذبني.

وقال اليهودي: طاف بي موسى الجنة بأسرها، وجعلني أتفرج على ما بها من عجائب.

وقال المسلم: جاء محمد ﷺ، وقال لي: يا مسكين، حمل عيسى شخصًا إلى السماء الرابعة. وجاء موسى إلى ذلك الآخر، واصطحبه إلى

الجنة. وأنت محروم مسكين، فانهض، وتناول هذه الحلوى، فنهضت حينئذ، وتناولت الحلوى.

قالوا: والله، إن المنام هو ذلك الذي رأيته، وكانت أحلامنا كلها خيالات وباطلة.

آه من هذه الحكاية! ربما أفدتَ منها. فلا تقل إذن إنكم كنتم قد ذهبتم إلى البستان. وتناولت أنا العسل والمُسْكِرَات.

كلمات

آذَى مُشَبِّهًا^(٣١)، وشق جيبه، وقال: يا إلهي، يا ويلي، ليضيعك الله، وليخرجك من الدنيا شقيًّا.

﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾^(٣٢). لماذا صار ظالمًا، مع أنه دخل جنته؟

(٣١) المُشَبِّهَةُ: المشبهة بفرقة من كبريات الفرق الإسلامية، شبهت الله تعالى بالمخلوقات، ومثله بالحدث. ومنهم غلاة الشيعة كالسبائية، والبنائية أتباع بنان بن سمعان التميمي، والمغيرية أصحاب المغيرة بن سعد العجلي، والهشامية أتباع هشام بن سالم الجواليقي الذين قالوا بالتجسم والحركة والانتقال والحلول في الأجسام. ومنهم مشبهة الحشوية الذين قالوا بجواز الملامسة والمصافحة والمعانقة. ومنهم مشبهة الكرامية، وقد قال زعيمهم: إن الله على العرش من جهة العلو، وتجاوز عليه الحركة والنزول. ومنهم من أطلق عليه لفظ الجسم، ثم اختلفوا هل هو متناهٍ في الجهات كلها أم غير متناهٍ.

انظر: محمد علي التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، جـ ٢ ص-٣، ص ١٥٤٥، ١٥٤٦.

(٣٢) ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾. سورة الكهف، جزء من الآية ٣٥.

﴿يَشْوَى الْوُجُوهُ﴾^(٣٣). إنه يعرضه على النار، فكيف لا ينشوي بها؟
 ما أعجب أسرار القرآن! وما أحسن المسلمين! لو أنهم يكذبون،
 يُصَوِّبُ القرآن كلامهم.

هل يكذب المؤمن؟ قال: لا يكذب^(٣٤). أي مجال للكذب؟ إن
 تحميم إنسان يكون حلالاً، وتحميم خسيس يكون حراماً، ولا يقبل
 الحَمَّامِي بذلك، ولا من خلق الحَمَّامِي.
 لقد ارتكب بعض الحمقى المحرمات، فامنعها لنا، حتى تصير
 حلالاً! والله أعلم.

يقول: لن يحدث. كيف لا يحدث، والله يعلم أنه يحدث؟

حلال العقد والمشكلات

«يا من استمات في حل العقد والمشكلات»^(٣٥).

(٣٣) ﴿يَشْوَى الْوُجُوهُ﴾. سورة الكهف، جزء من الآية ٢٩.
 (٣٤) المؤمن يكذب، قال: لا يكذب. إشارة إلى الحديث غير الصحيح:
 سُئِلَ: هل المؤمن يزني؟ قال: نعم، هل المؤمن يسرق؟ قال: نعم. هل المؤمن
 يكذب؟ قال: لا.

أحاديث منتشرة لا تصح، الدرر السنية dorar.net.
 (٣٥) مصرع من رباعية فريد الدين العطار م ٦٢٧ هـ الآية:

ای در طلب گره گشائی مرده
 در وصل بزاده در جدایی مرده
 = ای بر لب بحر تشنه باخاک شده

ذلك هو حال أثير أوهرى وأمثاله. فقد خاض في تلك الدقائق،
واشتد حرصه على حل العقد والمشكلات.

مقام الرجال

إن رجلاً يساوي العالم بأسره. ولو وُزن إيمان أبي بكر مع إيمان
جميع الخلق لرجح^(٣٦).

وقد كان رسول الله ﷺ يؤمن في قرارة نفسه. وذلك حال آخر أسمى
وأعلى.

=
وی برسر گنج از گدایی مرده
وترجمتها:

يا من استمات في حل العقد والمشكلات
لقد وُلدت في الوصل ومُتَّ في الهجر
يا من مُتَّ عطشاً على ساحل البحر
يا من مُتَّ بسبب الفقر فوق الكنز

انظر: شمس الدين محمد تبريزي، مقالات شمس تبريزي، تصحيح وتعليق محمد
علي موحد، ص ٣١٥.

(٣٦) لو وُزن إيمان أبي بكر مع إيمان جميع الخلق لرجح.
إشارة إلى الحديث: عن عمر قال: لو وُزن إيمان أبي بكر وإيمان الناس، لرجح
إيمان أبي بكر.

المحدث: محمد بن محمد الغزي.

المصدر: إتيقان ما يحسن.

خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح.

الموسوعة الحديثية: الدرر السنية dorar.net.

علماء أمتي

علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل^(٣٧). إنه لم يقل: فقراء أمتي. ذلك المقام الذي لا يسع الأنبياء، يفتخر به. فكيف إذا وسعهم؟
التدين الذي يراه لطيفاً، ويؤمن به، شيء حسن. ليس ذلك الذي لم ير شيئاً، ويؤمن به.

سجود القلب

لقد أمر بالتوجه ناحية القبلة في الصلاة، لأنه ينبغي التوجه ناحية الكعبة في الصلاة من كل حذب وصوب.
افترض أن آفاق العالم بأسره اجتمعت، وتحلقت حول الكعبة، وسجدت. حين تُرفع الكعبة من الوسط، ألا يكون سجود كل شخص نحو الآخر؟ وربما سجدت قلوبهم أيضاً.
لقد بَلَغَ، وبيّن، وأعلن. وأدركتُ أنا، ورأيتُ أنه الجميع، وليس الجميع هو. وأستر وجهي، حتى لا أكون مثل الحلاج. فلا تكن مثل الحلاج بعد ذلك.

(٣٧) علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل.

المحدث: الزركشي (البدر).

المصدر: اللآلئ المشورة.

خلاصة حكم المحدث: لا يُعرف له أصل.

الموسوعة الحديثية: الدرر السنية dorar.net.

منازل الطريق

قال سيد الخطاط: إنني أخذت تعليم الخط عنك. وقد مضى ذلك، وانقضى. وكان ذلك نقصاً.

لكن هل يجوز لهم أن يُشبهوا زاهداً تبريزي - مع ذلك النقصان كله - بأبي يزيد؟

كان زاهد التبريزي يمضي ذات يوم هو ومريدوه إلى بلدة «آب گرم»، وحملوا معهم كثيراً من اللوت^(٣٨) (الطعام اللذيذ). تناوله زاهد التبريزي كله في أول منزل من منازل الطريق، ولم يترك شيئاً.

نزلوا في المنزل الثاني. كان زاهد التبريزي جوعاً. وقد انشغل أهل القرية بذبح الخراف. دخل ذلك الدرويش بيتاً، وأحضر المخيض والخبز وغيرها. فأكل زاهد التبريزي، وفرغ، ثم أسرع عارياً للنُّزُل، ولم يُبالِ قُط. فقال الدرويش: تفرقوا في الخارج، حتى يمضي.

السهر مع المعشوق

هل نمتَ في النهار، حتى تسهر مع المعشوق في الليل؟ إنني حين أريد أن أختلي بالمعشوق ليلاً، وأصله؛ أنام في النهار. لكن هذا لا يجدي

(٣٨) اللوت: طعام دسم ولذيذ.

انظر: شمس الدين محمد بن ملك داد تبريزي: مقالات شمس تبريزي، تصحيح وتحشيه ومقدمه احمد خوشنويس عماد، ص ١٩٣.

معه، فإنه حين يأتي، ينهزم النوم والخيال، ولا يتحقق الوصل^(٣٩).

ليتهم يفهمون!

ورد في الحديث أن أنواع الحيوانات الاثني عشر كانت في البداية بشرًا. وقد مسح كل نوع بسبب إثم. يقول: وماذا كان ذلك الإثم؟ لكن الناس خلّقوا أسمى من هذه الطائفة، وليتهم يفهمون ذلك!

اعرف مقامك!

قال ذلك المعلم: مهما أمعن التفكير، لا أجد شيئًا أبدًا أقوله لك. ماذا أقول له؟ أي للجنيذ الذي أرشدهم إلى الحق تعالى. من ثم قل شيئًا مرة! وقد قال الجنيذ شيئًا، ودار، ورقص. لم يفهم، فقال له بعد ذلك: اذهب حيث مقامك، وحين تصل إليه، تعلّم الأمر. لما أدرك مقامه، ضرب كفًا على كف، وقال: آه، لقد علمتُ. وفنى عن نفسه، ولا يمكنه الرجوع. ارتعد، واستغرق في الأمر، ولا يمكنه الرجوع.

(٣٩) الوصل: المعنى لحق الغائب. قال يحيى بن معاذ رحمه الله: من لم يعم عن النظر إلى ما تحت العرش، لم يصل إلى ما فوق العرش. وقال الشبلي رحمه الله: من زعم أنه واصل، فليس له حاصل. وقال بعضهم: إنما حرموا الوصول لتضييع الأصول.

د. أنور فؤاد أبو خزام: معجم المصطلحات الصوفية، ص ١٨٥.

الطائر المذبوح

تقدم شخص إلى الميزان، وقال لي: ادّع أن المائة دينار هذه
-المملوكة لي- مائتين، ومن ثم أمنحك خمسين دينارًا.

ونظر إليّ، ثم انصرف عني، وتأوّه آهة، وانتحب.

كنت أنظر يمينًا ويسارًا فوق السطح، لأرى إلى من يتحدث. فقال:
إنني أتحدث إليك، وأتأوه بسببك. قلتُ: تتحدث إليّ؟ قال: بلى.

لقد جئتُ مرتديًا دُرّاعة وعمامة، حتى أدرك المقام، وكنتُ قد بقيتُ
مثل طائر مذبوح. وكانوا يدعونني حتى أدرك المقام، وكان قلبي يخفق
لشيء حسن!

كان وقت الظهر قد حلّ، وقلت: إنني سوف أصبح عاشقًا. ولما
طوينا ذلك المقام، وقعت الواقعة. قلت: أنا زاهد، كيف يكون هذا؟ قال:
إنه نور على نور، وقد ازدادت المحبة.

مع أنني أرفض الحديث عن خسرو وفرهاد^(٤٠) بسبب الغيرة. لكن

(٤٠) خسرو وفرهاد: هناك قصة تتحدث عن الملك الساساني خسرو برويز ٥٩٠-٦٢٧هـ ومعشوقته الأرمنية شیرين، وزواجه منها بعد سلسلة من الأحداث اختلفت من كاتب إلى آخر. أما فرهاد فيُقال إنه شخصية خيالية ابتكرها نظامي م ٥٩٥هـ في منظومته «خسرو وشيرين»، لأن ذكره لم يرد في كتاب تاريخ الأمم والملوك للطبري، أو كتاب غرر أخبار ملوك الفرس وسيرهم للثعالبي، أو في شاهنامه الفردوسي. وفرهاد عند نظامي مهندس بارع، نافس خسرو في عشق شیرين، فغار منه خسرو، وأرسل إليه من يخبره كذبًا بوفاة شیرين، فألقى فرهاد بنفسه من أعلى الجبل، على أمل أن يلتقي بشيرين بعد العدم.

الحديث عنهما يطيب لي على سبيل المؤانسة.

القلندري

إن القلندري^(٤١) ليس سفايحًا. ويتحقق له سرور وفتح عظيم خلال اليومين أو الثلاثة التي يكون فيها مريدًا لي. لكن يعتره قليل من الحزن. ومع أن ذلك الحزن يعد قليلًا بالنسبة إليّ، فإنه كثير بالنسبة إلى الآخرين.

أقول: لا قدر الله أن يذكرني في الطريق. إنه حُسن أدبك ولياقتك، والرجوع غير ممكن. إنه كان يحتاج إليّ هناك، ويحتاج إليّ هنا أيضًا.

= د. منال اليمني عبد العزيز: عبد القادر الجيلاني، الغوث الأعظم، الديوان الفارسي، ترجمة عن الفارسية ودراسة وتعليق، آفاق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠١٦م، ص ١٠٦، ١٠٧.

(٤١) القلندري: القلندري أو القلندر مأخوذة من الكلمة الهندية «كالندر» ومعناها الشخص الذي يخالف القوانين. وتعني في الاصطلاح: الشخص الذي تحرر من العالمين، وبلغ الكمال في التجريد والتفريد، واجتهد في تخريب العادات والعبادات. وتعني أيضًا الشخص الذي تجرد عن نفسه، وعن الأشكال البشرية، والأشكال العادية، والأعمال التي لا سعادة فيها، حتى صار من أهل الصفاء، وترقى إلى مرتبة الروح، وتخلص من القيود والتكليفات الرسمية والتعريفات الاسمية، وصار بقلبه وروحه كليهما طالبًا لجمال وجلال الحق جل وعلا، ووصل إلى حضرة الحق. والقلندر -بصفة عامة- درويش من طريقة قلندرية واستخدم لفظ القلندر أيضًا للدلالة على أي فقير متجول.

د. منال اليمني عبد العزيز: القلندرية الصوفية من خلال منظومة قلندر نامه خطيب فارسي «ياسيرت جمال الدين ساوجي». سيرة القلندر لخطيب الفارسي أو سيرة جمال الدين الساوجي، حوليات آداب عين شمس، المجلد ٤٨، يوليو-سبتمبر ٢٠٢٠م، ص ٦.

اقبضوا على هذا الرجل!

هناك رجل في دمشق. شق عصا الطاعة، وكان يضرب رأسه في الجدار في الرباط. إنه يريدني. فلتأتوا بهذا الرجل، فليس لي أي بقاء من دون هذا الرجل، ووجودي من دونه محال، وإذا أذيتموه، استأتم مني كثيرًا.

أريد هذه القلنسوة

كل شيء أريد أن أعرفه، يُظهره الله تعالى لي. من ثم كنت أطلب هذه القلنسوة. فقال: سُبَيْنُ لك على رأس من تكون. وفي النهاية لما آلت إلى رأسي، قلتُ: لقد ارتحت.

لقد اجترأ جرأة شديدة، فماذا حدث؟ وإنني خجلت من أن أقول صراحة: امنحها لي.

جاء قطب، فتواضع له ابن سرماري. قالت المرأة: لماذا لا تقول شيئاً؟ فقال: لا تتصرفي كالأطفال، ألا ترين أنه قد سكت؟ فأني مجال للكلام؟ فطأطأت رأسها، وقالت: فلتتحدث أنت إذن.

استهللت كلامي بما يوافق أحوالهم. وحيثما وجد الفقر، فأني مجال لشيء أو لكلام!

بدأ ابن سرماري في الشناء عليّ، وكان غرضه أن يتحدث. قال قطب: لا تتبله، واصمت. ألا تعلم أنه حاضر؟ فانتابته حيرة بسبب ذلك الكلام. وكان بعض العرب يقولون: وه يا شمس الدين، إيش هذا؟ إيش هذا؟

نور الحق

لما لم يكن موسى قد أدرك حقيقة الحق بعد، فكان يقول: أرني. كما كان يقول أيضًا: اللهم اجعلني من أمة محمد (٤٢).

من ثم لماذا كان يدعو الخلق؟ إن نور الحق كان قد سطع عليه، وكانت اليد البيضاء بسبب ذلك النور.

(٤٢) اجعلني من أمة محمد: إشارة إلى الحديث: عندما ذهب سيدنا موسى للقاء ربه، قال موسى: يا رب، إنني أجد في الألواح أمة هي خير أمة أخرجت للناس؛ يأمرهم بالمعروف، وينهون عن المنكر، رب، اجعلهم أمتي. قال رب العزة: تلك أمة محمد. قال موسى: رب، إنني أجد في الألواح أمة هم الآخرون في الخلق، السابقون في دخول الجنة، رب، اجعلهم أمتي. قال رب العزة: تلك أمة محمد. قال موسى: رب، إنني أجد في الألواح أناجيلهم في صدورهم يقرأونها، وكان من قبلهم يقرأون كتابهم نظرًا، حتى إذا رفعوها لم يحفظوا شيئًا، ولم يعرفوه، وإن الله أعطاهم من الحفظ شيئًا لم يعطه أحدًا من الأمم، قال: رب، اجعلهم أمتي. قال رب العزة: تلك أمة محمد. قال موسى: رب، إنني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول، وبالكتاب الآخر، ويقاثلون فضول الضلالة، حتى يقاثلوا الأعور الكذاب، فاجعلهم أمتي. قال رب العزة: تلك أمة أحمد. قال موسى: رب، إنني أجد في الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم، ويؤجرون عليها. وكان من قبلهم من الأمم إذا تصدق بصدقة، فقبلت منه، بعث الله عليها نارًا فأكلتها، وإن ردت عليه، تركت، فتأكلها السباع والطير، وإن الله أخذ صدقاتهم من غنيهم لفقرهم. قال: رب، فاجعلهم أمتي. قال رب العزة: تلك أمة أحمد. قال موسى: رب، فإني أجد في الألواح أمة إذا هم أحدهم بحسنة ثم لم يعملها، كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف. قال: رب، اجعلهم أمتي. قال رب العزة: تلك أمة أحمد. قال موسى: رب، إنني أجد في الألواح أمة هم المشفعون المشفوع لهم، فاجعلهم أمتي. قال رب العزة: تلك أمة أحمد. فنبذ موسى عليه السلام الألواح، وقال: اللهم اجعلني من أمة أحمد... الدرجة: موضوع. أحاديث منتشرة لا تصح، الدرر السنية dorar.net.

طعم الحرية

قال السلطان: ما دامت تلزمك قرية، فلتؤدّ الخراج.

وقلت أنت: كل من يتناول الكالجوش (حساء الكشك) والثوم،
يتملى من العفن.

إن ذلك البازي يساوي ألف دينار، لكنه لما مضى إلى منزل عجوز،
كانت قد قيدت قدميه، وقطعت جناحيه ومنقاره وسط ذلك الدخان
الأسود، وآذاه الدخان الأسود.

إن الحرية حسنة للغاية، وعلى هذا النحو يبسط البازي جناحيه،
ويسعد.

جاد عز الدين بذلك النيلج كله، وقد وسم النيلج جبهته وأنفه. إنه لم
يغتم قط، ولم يكن مقلداً، وقد وهبه نفسه، فوهبها له.

لا تتدخل على مدلل!

كنت أبكي، وأقول: إنكم لا تمنحوني كتابي «مقامات أبي يزيد»
و«زاد السالكين». وكان الشيخ يتسم. يعني شتان بين مقامك ومقام
أبي يزيد! ثم قال: فلتفعل ما فعله أبو يزيد إذن. فقلت: إنني كنت أريد
الكتابين من أجل ذلك، وكنت أبكي.

وعلى هذا النحو، لمّا قلتُ: بلى. حدث لي شيء. قال الشيخ: هل محبوبك ورفيقك موجود؟ قلتُ: بلى. قال: لقد صار معلومًا من وجوده أنه معدوم. فبعثتُ شعري.

والعجيب أنه يتدل على مدلل. كيف تتدل على مدلل؟ فلتتدل، ولكن في موضع آخر!

الله أكبر

الله أكبر! فما هو الأصغر؟ ربما ظن شخص في نفسه شيئًا عن خالق السماوات والعرش والكرسي والأنوار والجنة. يعني أنه أكبر مما ظننت وأعظم. فاقترِب أكثر، حتى تدرك العظمة، وتطمئن إلى الحق.

شعر

يا من اشتهى شَبَاعِي العالم وصلك
وارتعد شجاعانه خوفًا من فراقك
أي حيلة للغزلان أمام عينيك
يا من جديلتك مصيدة أسود العالم
يجوز أن هذا الشخص الذي قال هذين البيتين لم يكن له أي خبر
عن هذا الحال.

إن الفلاح قروي، لا يعرف النّظم ولا النّثر. وكذلك كان حال

السنائي ونظامي^(٤٣) والخاقاني^(٤٤) والعطار^(٤٥). وقد كان لهم نصيب

(٤٣) نظامي الكنجوي: هو الحكيم أبو محمد إلياس بن يوسف بن زكي ٥٣٠هـ - ٦١٤هـ. شاعر إيراني مشهور في القرن السادس الهجري. ولد في كنج، وتعلم في صباه الأدب والتاريخ والقصص، وأمضى أغلب عمره في كنج، وقلما ابتعد عنها. وكان مطلعاً على أصول العرفان، وكان يحظى برعاية الملوك. وأهم مؤلفاته پنج گنج أو خمسة نظامي، وله ديوان يشتمل على القصائد والغزليات والرباعيات. انظر: د. محمد معين، فرهنگ فارسي، مؤسسة انتشارات امير كبير، تهران ١٣٧٥، چاپ دهم، جلد ششم اعلام غ - ي، ص ٢١٣٢.

(٤٤) الخاقاني: هو أفضل الدين بن نجيب الدين علي الشرواني الملقب بحسان العجم، الشاعر المشهور ٥٢٠هـ - ٥٨٢هـ عاش في كنف عمه كافي الدين عمر الطبيب والفيلسوف حتى بلغ الخامسة والعشرين من عمره. وتعلم فنون الشعر على يد أبي العلاء الكنجوي، وهو الذي أطلق عليه الخاقاني بعد أن ألحقه بخدمة الخاقان منو جهر.

سافر الخاقاني إلى الري وإصفهان، وأدى فريضة الحج مرتين، ومال إلى العزلة في آخر عمره، وسكن تبريز، وتوفي فيها. وله ديوان يشتمل على قصائد وغزليات ورباعيات، وكذلك منظومة تحفة العراقيين. وكان ماهراً في نظم القصائد ومهارته في تركيب الألفاظ وإبداع المعاني وابتكار المضامين الجديدة والوصف والتشبيه قليلة النظير. انظر: د. محمد معين، فرهنگ فارسي، جلد پنجم اعلام آ - ع، ص ٤٧٣.

(٤٥) العطار: هو فريد الدين أبو حامد محمد بن أبي بكر إبراهيم بن إسحاق العطار النيسابوري. الشاعر العارف الإيراني المشهور في القرن السادس الهجري وأوائل القرن السابع الهجري ٥٤٠ - ٦١٨هـ. كان أبوه عطاراً. وورث عنه فريد الدين هذه المهنة. يعد العطار مريداً للشيخ مجد الدين البغدادى والشيخ ركن الدين إسحاق والشيخ قطب الدين حيدر. أمضى العطار فترة من عمره في السفر والترحال، وزار كثيراً من المشايخ من مكة إلى ما وراء النهر. وله مؤلفات كثيرة، منها: تذكرة الأولياء، ديوان أشعار، منطق الطير، اسرار نامه، الهي نامه، مصيبت نامه، خسرو نامه، وغيرها. وقد عبر عن معاني العرفان السامية بكلام سهل سلس لكنه لا يخلو من الفصاحة والبلاغة والانسجام. انظر: السابق، ص ١١٨٢.

من ذلك النظم والنثر.

إن الجبن طعام الفهد. فهل يتناول الأسد الجبن؟ إنه يتناول قلب الفريسة وكبدها. ولكل شخص طعام.

ماذا فعلتُ؟

إنك ترى هذا المخنث يسبني علانية، ويلعنني بين الخصوم! فماذا فعلتُ له أنا؟ ولا تنبغي مداراته مهما يعتذر.

وقد قَبَّلَ رأسك في اليوم الفلاني. وتحدثتُ أنا كذلك في اليوم الفلاني. فقال: ليته كان موجودًا، حتى كنت أعانقه!

كانوا يسحبون الثور، وكان في بطنه أمير! كان يرى الثور، ولم يكن يرى الأمير! لا ينبغي أن يقول الدرويش المتقصع شيئًا، فيصفق له. مع أنني لا أنشغل بذلك في الظاهر، لكن ينبغي عليه أن يحفظ الظاهر، ويصلي، ويخشع.

ومن ثم إنهم يذمون شخصًا يستحق المدح. حميد شريف وعز شريف وكمال شريف. الثلاثة جميعهم شرفاء. وهكذا يكون الدعاء للشرفاء.

الداء والدواء

إنني قلت في الحضرة مرارًا: إذا استأثرتُ أنا من شخص، عاتبه أنت. وأقول لك في هذه اللحظة: إنني أعلم، وأقول: عاتبه. إن قلبي يتألم، وأنت لا تريد الألم لقلبي. قال: إنني أريد هذا الألم نفسه.

إن الدواء يكمن في الداء، وكلما ازداد العشق، ازداد كمال المعشوق.
إنه يطرح رأياً، يبدو حسناً. ما معنى هذا الكلام الذي قالوه؟ وقد
فهم كل شخص شيئاً منه، وأدركه كل شخص وفقاً لحاله. وكل من يفسر
ذلك الكلام، إنما يعبر عن حاله، ولا يفسره. فأنصت إليه، إنه يعبر عن
حاله.

أدركتُ أنها حامل، حبلى. فذهبت، ووضعت يدي على بطنها قائلاً:
أي حمل هذا؟ إن الكلبة تلد كلاباً صغيرة.
كنتُ أعلم أنه السُّم، وتذوقته، ولم يصبني بأي أذى.

من أجل الرجوع

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾^(٤٦). إن خلقكم لم يكن صدفة أو
عبثاً، إنما كان من أجل الرجوع.

سكر وخل

لو أنك تمدح، فأني شأن لك بهذه المذمة؟ إنك تدم. ولو أن لك
فماً مملوءاً بالسكر، فماذا يفعل الخل في فمك؟ من ثم إن فمك مملوء
بالخل!

إذا كان عدم أدائك الصلاة ليس حجابك، فلماذا كان أداء الصلاة
حجابك؟ أرايتَ أن هناك نقصاً، ما دام هناك حَجَب؟

(٤٦) ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾. سورة المؤمنون، جزء من الآية ١١٥.

محبوب محبوبي

كان شخص قد خاصم شخصًا آخر. وكان ذلك الشخص الآخر قد خاصمه أيضًا. وكان هناك صديق مشترك بينهما.

مرَّ ذلك الصديق في ذلك الوقت الذي أراد فيه مقابلة الوالي. فتوقفوا، حتى يعبر، وبعد ذلك ينجزان ذلك الأمر.

وقع نظر أحدهما على ذلك الصديق، فانكبَّ على قدمه. لما رأى الصديق الآخر ذلك، رمى السكين، وانحنى له أيضًا، وكان يقول: حسنًا، إنك تحبه، فكيف أقتل محبوبَ محبوبي إذن؟ إن عدو عليَّ محبوب أبي بكر!

وكذلك الحال، إنني أحب كريم الدين، لكنني لا أرغب في أذنه، وأريد أن أقطع أذنه أو رأسه! أو أنني أحب أبا بكر الصديق، وأعادي محمدًا. لكن إذا قبلك الصديق، لا يكون صديقًا، بل يكون جمادًا وهو ليس بجماد. إنه صديق، وألف صديق.

هل تحبني أنا أكثر أم السيد؟ فلا تحد عني، واحذر، ولا تتركني، وتنشغل بالمستحاضة.

أحيني مسكيناً

كان رسول الكائنات يبتهل قائلاً: أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً^(٤٧). فلماذا تتسم أنت بالأنانية؟ ولماذا تخلى هو عن الأنانية، لقد سبق، ومع ذلك كان يقول: اشغلني بالعمل.

أنا ربك وأنت عبدي!

كان الرسول عليه السلام يمضي، وكان درويش يتعقبه فاقداً الصواب، وكان يقول: اللهم أنت عبدي وأنا ربك الكريم^(٤٨). فاحتواه

(٤٧) أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً. إشارة إلى الحديث: اللهم أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرنني في زمرة المساكين يوم القيامة، فقالت عائشة: لِمَ يا رسول الله؟ قال: إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفاً، يا عائشة، لا تردي المسكين ولو بشق تمرة، يا عائشة، أحبي المساكين، وقربهم، فإن الله يقربك يوم القيامة. الراوي: أنس بن مالك. المحدث: الألباني.

المصدر: صحيح الترمذي. خلاصة حكم المحدث: صحيح. التخريج: أخرجه الترمذي وابن الجوزي واللفظ لهما، والبيهقي باختلاف يسير. الموسوعة الحديثية، الدرر السنية www.dorar.net.

(٤٨) اللهم أنت عبدي وأنا ربك الكريم. إشارة إلى الحديث: لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته، بأرض فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك، إذ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال - من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي، وأنا ربك! أخطأ من شدة الفرح.

الراوي: أنس بن مالك. المحدث: الألباني. المصدر: صحيح الجامع. خلاصة حكم المحدث: صحيح. التخريج: أخرجه البخاري مختصراً باختلاف يسير، ومسلم واللفظ له. الموسوعة الحديثية، الدرر السنية، www.dorar.net.

الرسول ﷺ. لكن الصحابة أقدموا على قتله.

كلمات

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٤٩). ذلك العرش هو قلب محمد،

وإذا لم يكن قد استوى من قبله، فكيف يكون في وقته؟

إنه يقص قصته قائلاً: ﴿طه ١﴾ مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٥٠﴾.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^(٥١). السماوات كبرياؤه،

والأرض وجوده، والجميع قصته، واستوى حاله.

من اتبع السواد، فقد ضل. كل من ينظر إلى الصورة، لا يدرك المعنى.

سبحاني ما أعظم شأني!

ضل من قال: سبحاني ما أعظم شأني^(٥٢)! يعني هل كان الحق يقول

(٤٩) ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾. سورة طه، الآية ٥.

(٥٠) ﴿طه ١﴾ مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٥٠﴾. سورة طه، الآيتان ١، ٢.

(٥١) ﴿لَهُ مَا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾. سورة الحج، جزء من الآية ٦٤.

(٥٢) سبحاني ما أعظم شأني: يعد أبو يزيد البسطامي م ٢٦١هـ أول من ربط بين التوحيد

والفناء، وجعل فناء العبد عن نفسه، وعن صفاته الذميمة وأفعاله الخسيسة، وعن الخلق، وعن ما سوى الله، ثم بقاءه بالحق هما سبيله إلى التوحيد. وحين يستهلك العبد في الفناء، يرى الحق مرآته، ويشاهد نفسه الحق في تلك المرآة، فيتحدث بلسان الحق، أو يتحدث الحق على لسانه، وهو فان. وقد قال أبو يزيد: كان الحق تعالى مرآتي طيلة ثلاثين سنة، والآن أنا مرآة نفسي، وما دمت فانيًا، فالحق مرآتي، فهو يتحدث على لساني وأنا فان. ولذلك فقد تحدث بلسان الحق، أو تحدث الحق على لسانه. وقال: سبحاني ما أعظم شأني. انظر: د. منال اليميني عبد العزيز، التوحيد عند أحمد الجامي ومحيي الدين بن عربي، ص ٨.

هذا؟ وكيف يتعجب الحق من ملكه؟ وكيف يكون هذا التعجب جائزاً؟
كان هذا المتحدث هو أبو يزيد البسطامي، لكنه لا يؤخذ، لأنه كان
فانيًا، ولما تاب إلى رشده، استغفر.

قلما تكون لي حاجة عند مولانا، وإن طبعه لطيف، إذا حدث شيء،
تحدث عنه أولاً بأول. تعال، إنني أرى شيئاً، فكيف كان؟ اشرح الواقعة.
إنكم تعتقدون فيّ، وتنظرون إليه نظرة مختلفة، وهو يعلم هذا القدر.
وقد قال مراراً: لعلنا ننزوي، فلا نراكم على هذا النحو.

إنهم يخالفون النفس، وينفرون منها. من ثم كيف يكونون سالكين
للطريق وهم يريدون أن يتبعوا أبا يزيد؟

إذا كنت أقول: يا إبراهيم، ماذا تعلم عن حال كريم؟ وكيف هو؟ إنه
عبد الله في مكان خفي في صغره.

اللام والألف

منذ رأيت استقامة الألف، وظهري منحنٍ. قالت اللام: إنني مستقيمة
كالألف. فقالت الألف: انتبهي، ولا تقولي شيئاً، ولا تتحدثي، واعرفي
نفسك أيتها اللام.

من الصاقل؟

إن معرفة هؤلاء القوم أصعب من معرفة الحق تعالى، لأن الحق
تعالى يمكن معرفته بالاستدلال.

لقد رأيتَ خشبة منحوتة. ولكل مرآة صاقل، واليقين لا يتحقق بذاته.
لكن أولئك القوم الذين تراهم مثلك في الصورة والظاهر، لهم معنى
آخر بعيد عن تصورك وظنك.

من ثم إن معرفة هذا الصاقل ليست عجيبة، لكن كيف يكون ذلك
الصاقل؟ وكيف يكون جلاله؟ وكيف تكون أبديته؟ إن هؤلاء القوم
أنفسهم يعلمون هذا، لكن متى يعلنونه؟

ما دمتَ قد فتحت هذا الباب على نفسك، فليست هناك حيلة. قل:
إنه موجود. ومن يمكنه غلق هذا الباب؟ لكنك فتحتَ الباب المغلق من
دون تكلف.

الله لطيف

انشغل قوم بقال الله وقال رسول الله مرة في الأسبوع. فقل ما يرد
على خاطرك. وإنني مشغول بالدعاء بالخير ليلاً ونهاراً، لأن في الطريق
أقضية: قضاء معلق وقضاء مبرم. القضاء المبرم لا يُرد بالدعاء، والقضاء
المعلق يُرد بالدعاء.

إلهنا لطيف، إلهنا جميل، وهذه الخصال ليست للآخرين. وقد سموا
مثل ذلك الهوى ألوهية، واستولت الألوهية على خيال البعض.

﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾^(٥٣). أين الهوى؟ إنهم العباد.

(٥٣) ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾. سورة الشورى، جزء من الآية ١٩.

ماذا فعلتَ لي؟

كان قد حمل الزاهد إلى شمس الدين الطغراي، وقال: إنه بزرجمهر^(٥٤) العصر من دون قسم، ولتصدقني.

قال الشيخ: إن أولئك القوم آذوني. قال: أي شيخ؟ قال: الشيخ فلان. قال: إذا كان شيخًا آخر، كنت أنتقم لك. لكن ما دام هو موجودًا، فاذهب، وتضرع إليه.

قال: أيها السيد، لو أنك سوف تفعل هذا الأمر، ينبغي عليك أن تشتري جحشًا، وأكون أنا المكاري. قال: مبارك. رأيت ما قاله لي ذلك التعيس؟ إنه قال أمام المشايخ المعروفين: لعنة الله عليه ذلك التعيس. إنني فعلت ذلك الأمر مائة ألف مرة، فهل سمعت شيئًا مني، أو أنني تحدثت إلى أي شخص؟

لا تمنحه ذلك الطائر الميت، فيصبح راتبًا يطلبه كل مرة. لا يجوز الميت لك، وينبغي أن يمنحك الحي. كان يقول ذلك من أجل المصلحة، أم أنه كان يهزل، ليس بسبب التعب.

ربما اكتسبتُ شيئًا من هذه العلوم الظاهرة، وإلا فما المشكلة التي تعترضني بسبب سلوك الطريق؟ مشكلة، يا ويلي!

يتبع هذا أبا يزيد. ويدرك هذا المصطفى، ويتحدث. دخل هذا

(٥٤) بزرجمهر: كان وزيرًا لأنوشيروان الساساني، وكان رجلًا حكيمًا عالمًا، وقد ذُكر اسمه في الشاهنامه، وتُنسب إليه الكثير من الحكم والأمثال. ar.wikipedia.org

المظلوم الأول رويدًا رويدًا، هل تفهم ما يقول؟

قلتُ: لقد جئتُ. فماذا فعلتَ أنت لي؟ منحنتني درهمين. ووزعت

ثلاثة دراهم. قال مولانا: ماذا منحته؟ فخلعت عليّ خلعة.

الله هو العالم

كان شهاب^(٥٥) يقول في دمشق: إن المعقول الصرف في رأيي هو

الموجب بالذات^(٥٦)، وليس الفعال لما يريد.

(٥٥) شهاب هريوه: فيلسوف دهري، كان وثيق الصلة بشمس التبريزي، وكان يعتقد أن العقل دليل الإنسان الذي لا يخطئ، وأن الموت يخلص الإنسان من محنة الدنيا، وأن مجالسة الناس ومصاحبتهم تبعث على الملل. كانت زوجته وابنه من أهالي هراة، لكنه كان يعيش في نيسابور قبل سفره إلى دمشق لملاقاة شمس. وكان شمس يذكره دائماً بالفاظ تفيض بالمحبة.

انظر: fa.m.wikipedia.org.

(٥٦) الموجب بالذات: الموجب بالذات مصطلح فلسفي معناه: الذي يصدر عنه الفعل من غير قصد وإرادة.

ويعرف الجرجاني الموجب بالذات بقوله: الموجب بالذات هو الذي يجب أن يصدر عنه الفعل، إن كان علة تامة له، من غير قصد وإرادة، كوجوب صدور الإشراق عن الشمس والإحراق عن النار.

ويرى الفلاسفة أن العالم وجد عن الله تعالى على سبيل اللزوم لذاته من غير قصد واختيار، فيكون الله تعالى موجباً بالذات، لأنه يصدر عنه من غير قصد وإرادة، وإذا كان قد صدر عن قصد وإرادة منه لأحدث ذلك تكثرًا في ذاته، وهو منزّه عن ذلك.

ورد أهل السنة على قول الفلاسفة بأن الله موجب بالذات قائلين: إذا كان المراد من هذا القول أن الله يوجب ما يحدثه بمشيئته وقدرته، فلا يتنافى هذا مع كونه فاعلاً بالقدرة والاختيار. وإذا كان المراد أن الله تعالى يوجب شيئاً من الأشياء بذات مجردة عن القدرة والاختيار فهذا باطل. وإذا كان المراد أن الله تعالى علة تامة أزلية تستلزم معلولها الأزلي، بحيث يكون من العالم ما هو قديم بقدمه، لازم لذاته أزلاً وأبداً فهذا باطل أيضاً.

=

وقد قال فخر الرازي^(٥٧): فعال لما يريد من أجل اللوت (الطعام اللذيذ) وخلعة خوارزمشاه والنعل الذهبي.

قال: إن الحياة في رأيي مثل حمل ثقيل على رجل. حمل ثقيل على رقبته، وقدمه في الوحل، وهو شيخ ضعيف. يأتي رجل فجأة، ويقطع ذلك الحبل، حتى يسقط ذلك الحمل عن كاهله، ويتخلص الشيخ منه.

كانوا يأتون إلى شهاب هذا، ويستمعون إلى ألف مسألة متعلقة

= وقالوا أيضًا: إذا كان المقصود بالموجب بالذات ما يستلزم معلوله، فتغيرات العالم تبطل كونه موجبًا بهذا الاعتبار. وإذا كان المقصود أن تكون مفعولاته أمرًا لا يلزمه، بل يحدث شيئًا بعد شيء، فكون الأفلاك من جملة الحوادث المتأخرة، تبطل هذا القول.

كما بنوا فساد قول الفلاسفة بقدوم العالم عن الموجب بالذات قائلين: إما أن تكون ذاته هي الموجبة للعالم، فيلزم قدم كل شيء في العالم ودوامه بقدوم الموجب ودوامه، وهو مكابرة للحس. وإما أنها متوقفة على أمر آخر، فإن هذا يبطل قولهم بقدوم العالم. انظر: آمال بنت عبد العزيز العمرو: الألفاظ والمصطلحات المتعلقة بتوحيد الربوبية، جمع ودراسة، رسالة لنيل الدكتوراه في العقيدة والمذاهب المعاصرة، إشراف: د. محمد بن إبراهيم العجلان، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٥-١٤٢٦ هـ، ص ٣٧٠-٣٧٢.

(٥٧) فخر الرازي: هو فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن علي الرازي، كان أبوه خطيب الري وسلطان المتكلمين وشيخ المعقول والمنقول. وُلد فخر الدين في الري، وأصله من طبرستان، ورحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان. كان نصيرًا للأشاعرة مناهضًا للفلاسفة والمعتزلة. وله مؤلفات كثيرة، منها: «التفسير الكبير» الذي سماه «مفاتيح الغيب» و«المحصول» في علم الأصول، و«المطالب العلية»، و«تأسيس التقديس» في علم الكلام، و«نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز» في البلاغة، و«الأربعين في أصول الدين»، وكتاب الهندسة. لقب في هراة بشيخ الإسلام، وتوفي فيها سنة ٦٠٦ هـ. انظر: ar.wikipedia.org.

بالمعقولات، ويفيدون منه، ويتضرعون إليه. ثم كانوا يخرجون، ويقولون: إنه فلسفي.

الفيلسوف عالم بالأشياء كلها. إنني محوت تلك الجملة من الكتاب، وقلت: إن الله هو العالم بالأشياء كلها. لكنني كتبت: إن الفيلسوف مطلع على أشياء كثيرة، إلا أنه كان ينكر القيامة، وقال: إن الفلك يتوقف عن السير والدوران. فقلتُ: وكيف يبقى العالم ثابتاً؟

يقولون عن الأنبياء: إنهم كانوا حكماء، وقد تحدثوا بمثل هذه الأقوال من أجل مصالح الخلق.

العجز

قول علي رضي الله عنه: لو يتحقق ذلك الذي تقول، وأنا سوف ننجو جميعاً، فهو عجز، وانقطاع عن البحث، وينبغي الانقطاع إلى البحث.

يوم الحشر

أدرك معنى هذه الآية: ﴿بُدِّلَ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾^(٥٨) في نفسه. وقد تحقق معنى هذه الآية: ﴿نَطَوَى السَّمَاءَ﴾^(٥٩) فيه. من ثم إنهم يطوون هذه الأرض الظاهرة وهذه السماء، ثم يحشرون، فماذا يحدث؟ حتى تدرك أفهامهم. وعلى أي شيء يحاسبون؟ ولا حاجة لهم بالحساب.

(٥٨) ﴿بُدِّلَ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾. سورة إبراهيم، جزء من الآية ٤٨.

(٥٩) ﴿نَطَوَى السَّمَاءَ﴾. سورة الأنبياء، جزء من الآية ١٠٤.

الأفعى ذات الرؤوس السبعة!

لقد كان فخر الرازي من أهل الفلسفة أو من ذلك القبيل . التقى به خوارزمشاه، فاستهل كلامه قائلاً: هكذا تتبعتُ دقائق الأصول والفروع، وطالعتُ كتب الأولين والآخرين جميعها. واتضح لي شبهات كل تصنيف معتبر منذ عهد أفلاطون حتى الآن، وتحفظتُ عليها. وفتشتُ دفاتر الأولين، وعلمتُ حد كل واحد منهم. وعَرَّيتُ أهل زماني، وفهمتُ مراد كل واحد منهم. وأحطتُ بالفن الفلاني والفن الفلاني، وبلغتُ مكانة يضل فيها الوهم.

كان ذلك الأمير مقرباً، فيحدثه معترضاً على ذلك العلم الآخر الذي أعلمه أنا وأنت أيضاً.

قال: بلى، إنني رأيت خلقاً مذعورين فارين، فاقتربت منهم. كانوا يخيفونني قائلين: احذر، إن أفعى قد ظهرت، وستجعل العالم لقمة سائغة لها. فلم أبال قط، واقتربت أكثر، فرأيتُ باباً من حديد، لا يمكن وصف عرضه أو طوله، وقد أُغلق، ووُضع عليه قفل يزن خمسمائة منّ. قالوا: إن تلك الأفعى ذات الرؤوس السبعة موجودة في هذا المكان، فاحذر، ولا تقترب من هذا الباب.

اشتد حماسي وغيرتي، وضربتُ الباب، وحطمتُ القفل، ودخلتُ، فرأيتُ دودة، خطوط نحوها، ووطئتها برجلي، وقتلتها، والله أعلم.

من ثم كيف يكون كلامه كله عن تلك الدودة؟ والكتب جميعها
والتصانيف كلها مملوءة بتلك الديدان!

ما الألف؟

ما دام الجميع قد عرف الألف، فليست لهم حاجة أخرى. وذلك
الآخر الذي لم يعلمها، ينبغي شرحها له. ولم يفهم الباء أيضًا ولا التاء
ولا الأبجدية كلها كذلك. ولم يفهمها ذلك الآخر، وشرحها القرآن.
تلك الألف مجردة، وقد استقرت في صدر الألوهية، والباء تكن له
المحبة في قلبها، وقد طأطأت رأسها على قدمها.

الكلاب تنبح

من ثم كن منصفًا، من يستطيع أن يحيا مثل هذه الحياة؟ إنني أتواضع
لأحدهم، فينفر مني، ويعادينني! وما دام يضر نفسه فمن ينفع إذن؟
مثال ذلك ملك فارس كان يمضي ممتطيًا جوادًا عربيًا، فتنبح
الكلاب من جميع النواحي. فما ضر هذا الملك؟ بل إنها فائدة، لأن
الملك يتعجل، وسرعان ما يبلغ مقصوده.

تنبح تلك الكلاب في المبرز. لكنه يقول على سبيل الشفقة: مع أن
لي منفعة من نباحكم، لكنني تخليتُ عن منفعتي، مهما يشتد نباحكم.

بسم الله

أمضي بسرعة أو لا أصل في وقت الطعام. بسم الله الرحمن الرحيم،
بسم الله، بسم الله، هو، هو. قل لي: كيف يكون هذا الحشر؟ وهل يبقى
هذا الجسد؟ وما الفائدة؟ إن الإجابة تلزمني من دون شك. ومن مات فقد
قامت قيامته^(٦٠).

قال: إن الشجرة لا تموت، ما داموا يتكاثرون.

شمس مولانا

إن الشمس هي التي تضيء العالم بأسره. وإنها تشاهد النور الذي
ينبعث من فمي. إن النور يسطع من حديثي، ويسلط الضوء على الكلمة
المبهمّة.

إن هذه الشمس تدير ظهرها لهم، وتتجه بوجهها نحو السماوات،
ونور الأرض مستمد منها. ووجه الشمس يتجه نحو مولانا، لأن وجه
مولانا يتجه نحو الشمس.

لا مجال للمحابة!

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(٦١). إن البيت مقلوب من ناحية
النظم. وقد أجلسني رب البيت هنا، ولا يجب أن يكون الضيف فضولياً.

(٦٠) من مات فقد قامت قيامته. حديث غير صحيح.

الدرر السنّية، أحاديث منتشرة لا تصح dorar.net.

(٦١) ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾. سورة العنكبوت، جزء من الآية ٦٩.

قال محمود لإياز^(٦٢): اجلس هنا. فهل يكون لإياز أي اعتراض؟
ومن يعترض على إرادة السلطان؟

قال السلطان: إن مثلي قتل ألف عزيز حتى يعتبروا. مثلما قتل

(٦٢) السلطان محمود الغزنوي وإياز: السلطان محمود الغزنوي هو: أبو القاسم، الملقب بيمين الدولة م ٤٢١ هـ ابن سبكتكين الأكبر، وثالث ملوك الدولة الغزنوية، تولى العرش في سنة ٣٨٩ هـ بعد هزيمة أخيه إسماعيل، واستولى على خراسان بعد هزيمة عبد الملك بن نوح الساماني. وفي سنة ٣٩٣ هـ ضم سيستان وقهستان إلى ملكه، وسيطر على خوارزم في سنة ٤٠١ هـ. وفي سنة ٤٢٠ هـ استولى على الري وإصفهان. كما جرد حملاته على بلاد الهند، وفتح مولتان في سنة ٣٩٦ هـ. أما إياز فهو: أبو النجم إياز أولماق، من تركمان بلخ، وأحد غلمان السلطان محمود الغزنوي، وخاصته. اتسم إياز بالذكاء والفراسة والوفاء وحفظ الأسرار؛ لذا أحبه السلطان محمود الغزنوي، واهتم به اهتمامًا كبيرًا كان حديث العامة والخاصة. وقد أفاد الشعراء الصوفية من قصة السلطان محمود وإياز مثل: السنائي الغزنوي م ٥٣٥ هـ، وفريد الدين العطار م ٦٢٧ هـ على أرجح الأقوال، وجلال الدين الرومي م ٦٧٢ هـ، والحافظ الشيرازي م ٧٩١ هـ. ووظفوها لبيان الموضوعات العرفانية. ونظم جلال الدين الرومي في المثنوي أربع عشرة قصة متعلقة بمحمود الغزنوي وإياز، وبين في قصص العشق هذه العلاقة بين العبد والمعبود، وجعل محمودًا رمز الكمال والجمال المطلق، وإيازًا رمز الإنسان الكامل والمحِب الصادق. كما نظم جلال الدين قصة السلطان محمود وإياز وتحطيم الجوهر في المثنوي تحت عنوان «گوهر شکستن او به فرمان سلطان» أي «تحطيمه الجوهر بناء على أمر السلطان»، وكان يرمز بها إلى طاعة المريد التامة للشيخ. وكان إياز في هذه القصة مظهر العارف الكامل الذي ينفذ أمر الشيخ من دون جدال. أما عن أصل هذه الحكاية فقد ورد في تاريخ كردبزي على النحو الآتي: استولى الأمير محمود على معابد ولاية ماتوره وخزائنها، وذات مرة وجد ياقوتة شديدة الزرقة، وزن أربعمائة وخمسين مثقالا، ولم يكن أي شخص قد رأى مثل هذه الجوهرة. والأصنام المصنوعة من الذهب والفضة كانت بلا حد؛ فأمر السلطان محمود بتحطيم صنم ذهبي ووزنه، وكان وزن ١٠٩٨ مثقالا من الذهب. انظر: د. محمد معين، فرهنگ فارسي، جلد ششم اعلام غ - ي، ص ١٩٢٦، سيد علي كرامتي مقدم: قصة محمود واوصاف اياز، فصل نامه تخصصی ادبیات فارسی دانشگاه آزاد اسلامی مشهد، ص ١٥١ - ١٥٣، ١٥٩ - ١٦١. Sid.ir.

القزويني أمه لَمَّا صار محتسبًا، حتى يعلم الملحدون أنه لا مجال للمحابة.

كان لمطرب صوت منكر، فقال له أحدهم: ألا تسمع صوتك أبدًا؟
من ثم ألا تسمع أنت بياني هذا؟ إنه ليس من رب البيت، إنه من مكان آخر، ألا تفكر في سلوكي الطريق إلى هذا البيت؟ وإن رب البيت جعل زوجته -وهو يغار من جبريل إذا نظر إليها- محرماً لي، وأنه جلس أمامي مثلما يجلس الابن أمام أبيه، حتى يمنحه قطعة خبز! ألا ترى هذه القوة أبدًا؟

إنني أجعل الجميع مطيعين لي إلى حد أنك تندهش. وما دمتُ قد صدّقتُ واحدًا، فقد صدّقتُ الجميع.

مثلما كان المصطفى صلوات الله عليه يأخذ بشهادة رجل واحد بدلاً من شهادة رجلين^(٦٣). والسبب في ذلك أن المصطفى صلوات الله عليه شهد في قضية^(٦٤)، فقالوا: تلزم شهادة رجل آخر، حتى يكون هناك

(٦٣) إشارة إلى الحديث: أن رسول الله ﷺ انصرف من اثنتين، فقال له ذو اليمين: أفصرت الصلاة، أم نسيت يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: أصدّق ذو اليمين؟ فقال الناس: نعم، فقام رسول الله ﷺ، فصلى اثنتين آخرين، ثم سلم، ثم كبر، فسجد مثل سجوده أو أطول.

الراوي: أبو هريرة. المحدث: البخاري.

المصدر: صحيح البخاري. خلاصة حكم المحدث: صحيح.

الدرر السنية، الموسوعة الحديثية dorar.net.

(٦٤) إشارة إلى الحديث: أن النبي ﷺ ابتاع فرساً من أعرابي، فاستتبعه النبي ﷺ ليقضيه ثمن فرسه، فأسرع رسول الله ﷺ المشي، وأبطأ الأعرابي. فطلق رجال =

رجلان. قال ذو اليمين: إنني شاهد على هذه القضية.

ولما صدر الحكم، واختلى بالرسول ﷺ، قال له الرسول ﷺ: إنني أعلم أنك لم تكن شاهدًا على هذه القضية، فكيف تدلي بشهادتك؟ فقال: يا رسول الله، إننا صدقنا قولك وآمنا به في الكثير من الأمور الغيبية وأحوال بداية العالم ونهايته التي لم نكن نعرفها، ونشهد على ذلك، أفلا تصدق أنت شيئًا بهذا القدر؟!

نطق اللسان ونطق القلب

إن النطق باللسان ليس من أصل النطق، لأن أصل النطق القلب. والنطق كله يتدفق من القلب.

= يعترضون الأعرابي فيساومونه بالفرس، ولا يشعرون أن النبي ﷺ ابتاعه. فنادى الأعرابي رسول الله ﷺ، فقال: إن كنت مبتاعًا هذا الفرس، وإلا بعته. فقام النبي ﷺ حين سمع نداء الأعرابي، فقال: أوليس قد ابتعته منك؟ فقال الأعرابي: لا، والله ما بعته، فقال النبي ﷺ: بلى قد ابتعته منك. فطفق الناس يلوذون بالنبي ﷺ والأعرابي وهما يتراجعان. فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيدًا يشهد أنني بايعتك، فمن جاء من المسلمين؟ قال للأعرابي: ويلك! النبي ﷺ لم يكن ليقول إلا حقًا. حتى جاء خزيمة، فاستمع لمراجعة النبي ﷺ ومراجعة الأعرابي، فطفق الأعرابي يقول: هلم شهيدًا يشهد أنني بايعتك. فقال خزيمة بن ثابت: أنا أشهد أنك قد ابتعته، فأقبل النبي ﷺ على خزيمة، فقال: بم تشهد؟ فقال: بتصديقك يا رسول الله. فجعل رسول الله ﷺ شهادة خزيمة بشهادة رجلين.

الراوي: عم عمار بن خزيمة.

المحدث: الألباني.

المصدر: إرواء الغليل.

خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح.

الدرر السنية، الموسوعة الحديثية dorar.net.

تعال، فنحن مشغولون. ما هذا الفرار؟ هل ينبغي تقييد قدميك، حتى لا تفر؟ إنك لا تقبل القيد. وأنا أضحي بالروح والقلب في سبيلك من دون جدوى! فيصيبك الاضطراب، ولا يبقى سبيل للنفس إلى الجسد.

من القواد؟

قال: أيها السيد، ما اسمك حتى أتفاءل به؟ فقال: اذهب أيها القواد.
قال: إن القواد هو أبوك.

قال: ينبغي عليه عدم الاكتراث حتى يأتي. ومهما تتقدم أنت، فإنه قلما يتبعك. والمريدون الطيبون يطيعون شيوخهم.

الفم والطحين

لقد اجترأت عليّ بكلامك، وإنك ضعيف، لا تطيق كلامنا الكثير.
وإن فمي مملوء بالطحين، وسوف ينثره.

قال: صرتَ ضعيفاً الآن، وأنا قوي. ولو أن الجلد رقيق، فإن له قوة و طاقة. مهما يؤذيني الخصم، أصمد أمامه. وأنت تتألم، وتصاب بالضعف.

لو يؤذوني كثيراً، لا أصبح إلا أقوى، ولا أصير إلا أعظم، وأذهب إلى الجحيم والجنة والسوق. وأنت ضعيف، لا تستطيع السير.

العربية والفارسية

كل علم يتحدث به عربياً كان أو غيره، أتحدث به. فتحدّث

بالفارسية، حتى أتحدث أنا أيضًا بالفارسية. الفارسية تلك، والعربية هذه. إنني أتحدث بما يوافق طبعه. والعربية هي التي تتفوق.

لا تَنَمَّ

الصواب هو: ألا تنام ما دام نومك لا يصير عين اليقظة. كيف يكون الله تعالى يقظًا، ويكون العبد نائمًا؟ وعلى هذا النحو ينبغي أن يكون نومك عين اليقظة.

معجزة محمد ﷺ

إذا لم يدعُ محمد ﷺ إلى عبادة الله، فهل يكون لأي شخص شأن به؟ وهل كانوا يطلبون منه أي معجزة؟ إذا لم نقل له: أسلم، فهل كان يصبح عدوًّا؟ لا، بل إنه كان يؤدي ألف خدمة أخرى.

كل فاكهة تنضج، لا يشبه مذاقها مذاق فاكهة أخرى. في البداية يظهر الكرز والخس، ثم يظهر قمر الدين، وبعد ذلك الدابوق والعنب. وبمجرد أن ظهر محمد ﷺ، نُسخت شرائع الأنبياء الآخرين.

بلى، ما أحسن الكفار المسلمين! الشيء الذي جربته مرة وامتحنته، اجتنبه، وإن كان عزيزًا. وقل: كن عزيزًا.

شقاء الحبيب

إن الحبيب هو الذي يجلب الراحة، فكيف يأتي الشقاء منه؟ تقول هذا، ويتألم قلبي.

مثلما يؤذيني شخص، ولا تقول أنت: إن قلبي ينفطر، وإذا كان ملكي، كنت أمزقه مائة قطعة، وكنت أحرق الألم والطبيب أيضاً. لقد شققت على نفسك، وتحملت ألماً فوق ألم. والشيء الذي كابدته أنت، لا يحتمله هو، فلماذا تُحمّله إياه؟ فيصير الألم مائة ألم.

الرضا بالقضاء والقدر

قلتُ: ما دمتُ لا أعلم النهاية، ولا أدرك الخاتمة، فإنني أتألم حتى ذلك الوقت. قال: وماذا حدث إذن؟ رضينا بقضاء الله وقدره. ينبغي علينا الرضا.

خلق شعيب^(٦٥) ضريراً، فرضي بذلك، ولم يكن يرى وجوه الأعزاء، ولو أنه كان يرى بالبصيرة. لكن هذا الظاهر كان حسناً أيضاً، وما دام لم يكن، فقد رضي بذلك. والرضا هو أن يكون راضياً، ولا يفقد الصواب في تلك الشدة.

ورضي أيوب^(٦٦) بذلك الدود أيضاً، وصبر عليه، ولم يفكر إلى متى

(٦٥) شعيب: هو شعيب بن صيفور بن عيفا بن ثابت بن مدين بن إبراهيم. لقب بخطيب الأنبياء لفصاحته وبلاغته في دعوة قومه إلى الإيمان. وكان الله تعالى قد أرسله إلى أهل مدين رسولاً لكي يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وينهاهم عن بخس الناس أشياءهم، فأمن به البعض، وكفره أكثرهم، فأنزل الله بهم العذاب الشديد.

انظر: أبو الفداء إسماعيل بن كثير: قصص الأنبياء، تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، مكتبة الطالب الجامعي، مكة، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ص ٢٤١، ٢٤٢.

(٦٦) أيوب: هو أيوب بن موص بن رازح بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل. كان رجلاً ثرياً من الروم يمتلك الأنعام والمواشي، والعبيد والأراضي المتسعة بأرض الثنية من أرض حوران، كما كان له أولاد وأهلون كثر. وحدث أن سلبت أمواله، =

سوف يستمر هذا الداء، ولم يقل: إلهي، أخبرني إلى متى.
لقد كان لكل شخص داء بلا دواء. الدواء هو الذي لا أتناوله حتى لا
تتناوله أنت أيضًا. فليس من المروءة أن أقول لك في كل مرة: لا تتناول
هذا الدواء.

الإيمان بالغيب

لما مررت بالعديد من التجارب، قلتُ: يمكنني الاحتراز من الغيب.
فأَيُّ غيب وأي حضور؟

رأيت شيئاً معيناً فيه ضرر، وهو مُضر ومؤذٍ. فتقول: منذ ذلك اليوم
الذي صادفته فيه، لا أشعر بالراحة، لا راحة السماع، ولا راحة الحديث،
ولا الحال ولا القال، فماذا يتبقى إذن؟

قال: لعل تدبير الأمور يكون من الغيب. قال: بلى، إننا نؤمن بالغيب،
نحن مؤمنون بالغيب تمامًا. كل شيء يأتي من الغيب، والفتوح جميعها
تكون من الغيب.

= وابْتُلي في جسده، ولم يبقَ منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه، فكان يذكر الله
بهما صابراً محتسباً. ولما طال مرضه، أخرجته الناس من بلده، وألقوه في مزبلة
خارجها، وانقطعوا عنه إلا زوجته التي كانت ترعاه طوال مدة مرضه التي استمرت
نحو ثمانية عشر عاماً، تساقط خلالها لحمه، ولم يبقَ منه إلا العظم والعصب. ولما
ضعف حالها وقل مالها باعت ضفيريها لتوفر الطعام له. فلما علم أيوب بذلك
قال: رب إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين. فاستجاب له ربه، وكشف ما به
من ضر، وعاش بعد ذلك سبعين سنة. انظر: إسماعيل بن كثير: قصص الأنبياء،
ص ٣١١-٣١٤، ٣١٧.

إنه ليس فتى

كان مالك ينفي المال، وكانوا يطلقون عليه «فتى»، ويقولون له: «أخي»^(٦٧). وكان يجعل أمه مفلسة. وأنا أعلم أنه ليس فتى، وليس أخي.

(٦٧) الأخي هو واحد الأخية، والأخية أو الأخية الفتيان اسم أطلق على جماعات الفتوة في آسيا الصغرى. وقال عنهم ابن بطوطة: إنهم انتشروا في جميع البلاد التركمانية الرومية، وكانوا يحتفلون بالغباء، ويطعمون الطعام، ويقضون حوائج الناس، ويأخذون على أيدي الظلمة. وكان الأخي يبني زاوية، ويجتمع عنده أهل صناعته وغيرهم من الأعزب والمتجردين -الذين يقدمونه على أنفسهم وتلك هي الفتوة أيضاً- ويأتون إليه بما اجتمع لهم في أثناء النهار، فيشترون به الفواكه والطعام وغيرها. فإذا جاء مسافر بُزِلَ لونه عندهم حتى يرحل. وإذا لم يجرى، يجتمعون على طعامهم فيأكلون ويرقصون ويغنون. وهم يسمون بالفتيان، ويسمى مقدمهم الأخي. وقد جاء أحد شيوخ الفتيان الأخية -كان مائتان من أهل الصناعات قد قدموه على أنفسهم، وبنوا زاوية للضيافة- إلى الشيخ شهاب الدين الحموي، ليدعو ابن بطوطة وأصحابه إلى ضيافته، فلما ذهبوا إلى زاويته وجدوها زاوية حسنة مفروشة بالبسط الرومية، وبها الكثير من ثريات الزجاج العراقي، وفي المجلس خمس بياسيس، والبسوس شبه المنارة من النحاس له أرجل ثلاث.

وقد اصطف الشبان في المجلس وهم يرتدون الأقبية والأخفاف والقلائس البيضاء المصنوعة من الصوف، وقدموا لهم الطعام والفاكهة والحلوى، ثم أخذوا يغنون ويرقصون حتى انصرف ابن بطوطة ورفاقه في آخر الليل.

ويطلق لفظ أخي في اصطلاح المشايخ والعارفين على الشخص الذي يتسم بالتقوى والكرم والشفقة والعفة والعلم والتواضع، فيلبسونه خرقة التكميل والإرشاد، ويطلقون عليه أخياً، ويمنحونه إجازة التعليم والإرشاد. والفتوة عبارة عن مخالفة هوى النفس من أجل إرضاء الله تعالى.

انظر: رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، قدم له وحققه محمد عبد المنعم العريان، راجعه وأعد فهارسه مصطفى القصاص، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م، الجزء الأول، ص ٢٩٢، ٢٩٣. عمر سليم عبد القادر التل: متصوفة بغداد في القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، دراسة تاريخية، تقديم عبد العزيز الدوري، دار المأمون للنشر =

إنه متواضع وصالح، لكن في باطنه خنوثة.

لينقطع لساني

نقلوا عن عين القضاة العديد من الأقوال الغثة. وقد قال: لينقطع لساني إن قلتُ على شيء كان، ليته لم يكن.

وحكوا عن ابن عباس رضي الله عنه^(٦٨) حكايات من هذا القبيل. ورووا عن المصطفى صلوات الله عليه حكايات مخالفة لذلك.

سرُّ المصطفى ﷺ

إنهم لم يدركوا سرَّ المصطفى، ولن يدركوه. يقول موسى وعيسى: اجعلنا من أمة محمد ﷺ. وقد ضحى هؤلاء جميعاً بأرواحهم طلباً لمقامه، ولم يتحقق لهم ذلك.

= والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى. ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، ص ٤١٦.
شمس الدين محمد بن ملك داد تبريزي، مقالات شمس تبريزي، بتصحيح وتحشية ومقدمه احمد خوشنويس عماد، ص ٢٢٧.
(٦٨) ابن عباس رضي الله عنه: هو أبو العباس عبد الله بن عبد المطلب شبيه بن هاشم، ابن عم الرسول ﷺ وُلد في شعب بني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنوات، وانتقل مع أبويه إلى دار الهجرة سنة الفتح، وكان قد أسلم قبل ذلك، وصحب النبي ﷺ ثلاثين شهراً، وحدث عنه وعن عمر وعلي ومعاذ ووالده وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم. وروى عنه ابنه علي وابن أخيه عبد الله بن معبد، ومواليه عكرمة، وأنس بن مالك، وغيرهم. وقد دعا النبي ﷺ له بالحكمة. ويروى عنه أنه قال: دعا لي رسول الله بالحكمة مرتين.

انظر: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج-٣، ص ٣٣٢. islamweb.net.

النية الحسنة

﴿كَرَامًا كُنِينَ ﴿١١﴾ يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾^(٦٩). حين تنوي على فعل شيء، فهناك ملاك اليد اليمنى، وملاك اليد اليسرى. يؤمر ملاك اليد اليمنى بأن يسجل أجر تلك النية - ما دامت قد استحالت إلى عمل - بسبعمئة حسنة بغير حساب.

اعمل صالحًا

لدينا آيات لكل إنسان. ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(٧٠). ذلك الأحد هو هو، ولا يقترن وجوده به.

وعد القرآن

﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾^(٧١). الوعود في القرآن من نصيينا، والقهر نصيب الآخرين. وقد قسّمها المُقسّم المطلق.

عالم اللطف

قال: لماذا لا تصلي؟ قال: مصداقًا لقول الله تعالى. قال: ماذا قال؟ قال: قال: ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَرَى﴾^(٧٢). قال: اقرأها. لقد منحوا الجميع للجميع، والعمل مقسوم.

(٦٩) ﴿كَرَامًا كُنِينَ ﴿١١﴾ يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾. سورة الانفطار، الآيتان ١١، ١٢.

(٧٠) ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾. سورة الكهف، جزء من الآية ١١٠.

(٧١) ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾. سورة النور، جزء من الآية ٣٥.

(٧٢) ﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَرَى﴾. سورة النساء، جزء من الآية ٤٣.

ترد آية في القرآن متعلقة بأحوال المؤمنين، ثم ترد بعد ذلك آية متعلقة بأحوال الكافرين. لكن اللطف كله في عالم العشق، وليس فيه قهر أبدًا.

لقد تخلينا عن القهر منذ مدة طويلة. والقهر قريب من هنا أيضًا. الجحيم في هذه الناحية. تعبر الجحيم، فتجد الصراط في تلك الناحية والجنة. إن عالم اللطف بلا نهاية وبلا حد.

لمن هذا النعل؟

حاك أحدهم نعلًا حسنًا للرسول عليه السلام، فأعجبه، وقال: أحسنت الحياكة! لم يسكت الرجل، وقال: يا رسول الله، إنني كنت أحوك أفضل منه، وإنني أستطيع أن أحوك أحسن منه. قال رسول الله ﷺ: ولمن تحتفظ بذلك النعل الأفضل؟ وما دمت لم تحكه من أجلي، فلمن سوف تحوكه إذن؟

لحظة خالدة

لم يدع محمد أربعين عامًا، بل دعا ثلاثة وعشرين عامًا، واتضحت أمور عديدة. بلى، مع أن المدة كانت قصيرة، لكن تلك اللحظة التي يقضيها في رحاب الله، هي لحظة خالدة.

الجمل والفأر

أمسك فأر بلجام جمل، وجره، فسار الجمل خلفه على سبيل الموافقة والحلم والتواضع.

المؤمن كالجمل الأنف^(٧٣). يقول البعض: إن المؤمن يشبه الجمل في الحلم والتواضع. ويقول البعض الآخر: لأن الجمل أسمى وأعظم من الحيوانات كلها. ولو أن له سرّاً آخر، لكننا نتحدث إليهم الآن على قدر عقولهم.

وصل الفأر إلى نهر جارف، فبقي عاجزاً. قال الجمل للفأر: لماذا توقفت هنا؟ ولماذا لا تمضي؟ ألا تعلم أنه لا يجب عليك أن تمسك بزمام جمل مثلي؟ من ثم ما دمت قد أمسكت به، فامضِ.

قال الفأر: إن النهر عظيم. فقال له الجمل وقدماه مغمورتان في الماء حتى ركبتيه: انزل، فالأمر سهل. يقول الفأر: شتان بين ركبة وركبة! قال الجمل: تُب إذن، ولا تتركب مثل هذه الوقاحة، واجلس فوق عرقوبي. فأني فرق عندي لو يجلس مائة ألف مثلك على عرقوبي؟ وسوف أعبر بهم النهر في لحظة واحدة.

قامات وضيعة

جئتُ، واحتضنتك، واحتضنتني. إنك تقول: كم قامة من هذه

(٧٣) المؤمن كالجمل الأنف. إشارة إلى الحديث: المؤمنون هينون كالجمل الأنف، إن قيد انقاد، وإن أنيخ استناخ على صخرة.
الراوي: مكحول.

المحدث: البيهقي.

المصدر: شعب الإيمان.

خلاصة حكم المحدث: مرسل صحيح.

الدرر السنية، الموسوعة الحديثية dorar.net.

القامات وضيعة؟ ولم تحظَ بالرفعة. وينبغي أن يكون لنا ضعفان. قلتُ: حسنًا، ينبغي تحصيل العلوم لا جرم. لكنها لا تلزم هؤلاء، ولا يجب إلا التسليم بهذا الكلام، وكفى.

رضا الحق

الكلام يجز الكلام. لقد آل المُلْك لك، لأن الحق راضٍ عنك. وما دمتَ قد ظفرتَ بالبستاني، فالبستان ملكك. واقطف الثمر من أي شجرة تريد.

حين تتحدث بهذا الكلام، لا يقتنع به أي شخص، ولا يقبل أن يتحدث به. إنني أقول الصدق، فاستمع إلى قول الصدق من رجل عاقل.

الوصل العزيز

إن وصلك أصبح عزيزاً للغاية. واأسفاه! إن العمر لا يكفيه. ويلزمني عالم مملوء بالذهب، حتى أنثره فداء وصلك. إن لنا إلهاً حيًّا، فماذا نفعل بإله ميت؟

المعنى هو الله. وهذا هو المعنى نفسه الذي شرحته. ولا ينقض عهد الله إلا فاسد.

عُرس النفس

الأعراس ليست نوعًا واحدًا، وها هو عرس النفس.

آه من فراق المحبوب،

وا حسرتاه على وداع الحبيب!

الويل لي من كليهما

والواقعة أفضل منهما ألف مرة

يجب أداء العمل هنا، وقد أديتَ عملك، وجعلتَ لنفسك مكاناً في الجنة، وأدركتَ مكانك. وانقضى ذلك الوقت.

إن درهماً عند تقي أفضل من مائة ألف دينار في يد شخص آخر، لأنها تضعه في النار، وتحمله إلى الجحيم.

أنت إبليس!

سأل أحدهم: من يكون إبليس؟ فقال له: أنت. ما دمتُ أنا الإله، فمن يكون نقيضي إذن؟ إن شعري طويل وكثيف. ولو أن كل شخص يضفر شعره القصير، أقول له: من أنت؟

إن الحلوى تُقدم لك مقابل المال. وقد هَيَّئْتُ أنا كثيراً، لأنه كان أستاذاً كاملاً. ولم يختلف مطلقاً.

المنزل الحسن

إنك تعلم أنك تستودعني الله، والله تعالى سَتَّار. وقد أودعني مكاناً حسناً.

وا أسفاه على درهم ونصف! وا حسرتاه يا بني! هذا هو كلام

السيد^(٧٤). وكان مريدًا خاصًا للسنائي، وكان السنائي شيخه. والكلام معناه: أنه يتناول لقمة، ويضعها في فمه من خلف قفاه. ويجوز أنه يمزق عرقه.

عناية الحق

إن الله تعالى يعتني بالعبد إلى حد أن غير المسلم يسلم على يده. ويجدر به أن يقول هذا الكلام بهذا اللطف، لأن القول واجب. إن نظري يقع عليه، فيُسَلِّم. فلا تنسَ الثوب والنعل^(٧٥). أي مجال للاتباع؟ أين يكمن الخوف؟ وقد جف القلم^(٧٦)!

(٧٤) السيد: يبدو أن المقصود هو سيد برهان الدين محقق. واتضحت إرادة سيد للسنائي في كلام مولانا، حين قال: قالوا: إن سيد برهان الدين يقول قولًا حسنًا، لكنه يستشهد بأشعار السنائي كثيرًا في أقواله. فقال سيد: كأنهم يقولون: إن الشمس حسنة، لكنها تشع نورًا، وهذا يعيها. وإنه يستشهد بأقوال السنائي لكي يوضح بها كلامه. انظر: شمس الدين محمد تبريزي، مقالات شمس تبريزي، تصحيح وتعليق محمد علي موحد. ص ٣١٠.

(٧٥) إشارة إلى قصة إياز غلام السلطان محمود الغزنوي، وقد كان يرتدي الثوب، ويتنعل «جاروقًا» (النعل الذي يرتديه القرويون) حين يكون بمفرده، حتى لا ينسى وضعه السابق.

انظر: شمس الدين محمد بن ملك داد تبريزي، مقالات شمس تبريزي، تصحيح أحمد خوشنويس عماد، ص ٢٣٠.

(٧٦) جف القلم: إشارة إلى الحديث: كنت رديف رسول الله ﷺ، فقال لي رسول الله ﷺ: يا غلام أو يا بني ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟ قلت: بلى. فقال: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. فقد جف القلم بما هو كائن. فلو أن الخلق كلهم جميعًا أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يقضه الله لك، لم يقدرُوا =

الاحتياط واجب

لا تأكل شيئاً، ثم تقول: إذا لم أكن قد أكلته، لكان أفضل. أو تقول: ليتني لم أكن قد تناولته. اطرح الثوب أولاً، ثم فصّله. وإنني احتاط في الأمور جيداً.

﴿نَوْمَكُمْ سُبَّانًا ۝١ وَجَعَلْنَا أَلِيلَ لِبَاسًا﴾^(٧٧). ذلك هو حال الصحو.
و﴿الْنَّهَارَ مَعَاشًا﴾^(٧٨) ذلك هو حال السكر^(٧٩).

= عليه، وإن أرادوا أن يضروك بشيء، لم يقضه الله لك، لم يقدرُوا عليه. واعمل لله بالشكر واليقين، واعلم أن الصبر على ما تكره خير كثير، وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً.

الراوي: عبد الله بن عباس.

المحدث: عبد الحق الإشبيلي.

المصدر: الأحكام الشرعية الكبرى.

خلاصة حكم المحدث: صحيح.

التخريج: أخرجه الترمذي مختصراً بنحوه، وأحمد باختلاف يسير.

الدرر السنية: الموسوعة الحديثية dorar.net.

(٧٧) ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَّانًا ۝١ وَجَعَلْنَا أَلِيلَ لِبَاسًا﴾. سورة النبأ، الآيتان ٩، ١٠.

(٧٨) ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾. سورة النبأ، الآية ١١.

(٧٩) السكر والصحو: السكر غيبة بوارد قوي. فما هو غيبة إلا عن كل ما يناقض السرور والطرب والفرح. أما الصحو فرجوع إلى الإحساس بعد الغيبة. والسكر سمة أصحاب المواجد، بل هو درجة من درجات الوجد. فقد قال الواسطي: مقامات الوجد أربعة: الذهول، ثم الحيرة، ثم السكر، ثم الصحو. والصحو العود إلى ترتيب الأفعال وتهذيب الأقوال. ومتى عاد كل شيء منه إلى مستقره، فهو صاح، والصحو للمكاشفين بحقائق الغيوب.

د. أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، ص ١٠٠، ١٠٨.

في البحر سمك!

إن السمك هو الذي يأكل السمك. ظهر ضوء على سطح الماء في البحر. ولم يتحدث الربان قط. ذهبنا ذات يوم في أثر ذلك الضوء، فظهر ضوء آخر.

بعد ذلك سجد الربان سجدة شكر، وقال: إذا تحدثتُ في البداية، فقأت أنت مراتك. كان ذلك الضوء، عين سمكة. وكان هذا الضوء عين سمكة أخرى. إذا كانت تُدبر لحظة، تهلك. وتلك سمكة أخرى كانت صغيرة.

يضل السمك طريقه في البحر دائماً، لكن البحر يحтар في أمر ذلك السمك، فكيف يكون بهذا الاتساع، ويعيش السمك فيه؟

الكلب الأحمر

كنت أمسك سراجاً خفيفاً في يدي، فنبح الكلب عليّ. هربت داخل المنزل خوفاً منه، وفررت من ذلك المنزل إلى منزل آخر. بعد ذلك قفزت داخل تنور كبير، وقلت: انتبه يا أمي، وأحضري لي السلاح. انتبه يا أمي، وأحضري لي الرمح والسيف. اخرجي يا أمي إلى قارعة المحلة، وقولي لذلك الكلب الأحمر: نبحت، وتنبح. فلتنبح على أبيك وأمك. ولو أنك رجل، تعال إلى حافة التنور، وسأنفذ الحربة في أنفك.

الشجعان والأتراك

كُنَّا سبعمائة رجل شجاع، هاجمنا سبعة أتراك، وتلقينا الكثير من الصفعات. لكن الأتراك حملوا الكثير من المتاع.

يقبض أحدهم على يدي كذلك، ويقول: إلهي، خذه، وخذ هذا وهذا. ولا تأخذ مولانا، ولا فلان، ولا هذا. هذه قدمي وليست قدمه، ألا تراه؟ ألا يحتال عليك؟ فلترسل المطر، حتى نتفرق، ونمضي.

بائع الخمر

استمع إلى كلمة مني: إن ذلك الكلام كله كان سخيلاً بالنسبة إليه، ولم يستطع الكلام مرة أخرى. لماذا أنت منقبض؟ لقد صَلَحَ المنع، فامتنعت. وَصَلَحَ الانطلاق، فانطلقت. وما يشير إليه، تتحدث عنه.

وكنْتَ تقول: إنني شرحت الواقعة، حتى يفرغ قلبي. إنك تفرغ القلب من الواقعة^(٨٠)، يا للعجب! فيماذا سوف تملأه؟

كان خمار يبيع الخمر، فقال له أحدهم: أتبِعِ الخمر؟ يا للعجب! فماذا سوف تشتري بدلاً منها؟

(٨٠) الواقعة: الواقعة: هو ما يرد على القلب من ذلك العلم بأي طريق كان من خطاب أو مثال.

والواقعة: الذي يراه السالك الواقع أثناء الذكر واستغراق حاله مع الله، بحيث يغيب عنه المحسوسات، وهو بين النوم واليقظة. وما يراه في حال اليقظة والحضور يسمى مكاشفة.

د. أنور فؤاد أبي خزام: معجم المصطلحات الصوفية، ص ١٨٢.

مسجد الحوقلة

إنه مسجد الحوقلة، وكل من يتقاعس عن الذهاب إلى المسجد الجامع، كان يذهب إليه. وإذا كان يعرف معنى لا حول ولا قوة إلا بالله، وأن القوة من الله، لما كانت جمعة تفوته.

أن تبقى في الخرابات متحوقلاً هكذا

أفضل من أن تبقى في الكعبة من دون حوقلة

ماذا نعلم عن مسجد الحوقلة؟ إن القاضي قد تعلق به، وانضم إليه بعض اللصوص باكين نائحين.

إننا يا مولانا لا نستطيع التمتع بذلك الكنز إلا في حمايتك! لقد مكث هؤلاء طويلاً. فليمنحني مولانا العمامة حتى أمضي، وأبلغ الرسالة.

قال شخص آخر: إنه تأخر، فامنع البغل إلى العبد، فادعوه، وأدعوه في الوقت نفسه، بشرط أن تُقسَم بالطلاق ثلاثاً ألا تقص هذه القصة لأحد أبداً.

طريق الطاحونة

كان أصم يأتي من الطاحونة، فرأى أحدهم كان يتجه نحو الطاحونة، ففاس حاله على حاله قائلاً: إنه سوف يسأل: من أين تأتي؟ ونسي أنه سوف يُسَلَّم عليه في البداية. وما دام قد أخطأ في البداية، فقد وقع الخطأ من البداية إلى النهاية.

قاس حاله على حاله قائلاً: إنه سوف يقول: من أين تأتي؟ فأقول:
من الطاحونة. يقول: كم كيلة طحنت؟ أقول: كيلة ونصف. يقول: هل
كان الماء وفيراً؟ أقول: غمرني حتى الخاصرة.

جاء الرجل، وقال للأصم: السلام عليك. قال: من الطاحونة. قال:
الويل لك! قال: كيلة ونصف. أدرك الرجل أنه أصم، وأنه لم يفهم الكلام
منذ البداية، ومن ثم فإنه يقول كل ما يرد على خاطره بعد ذلك.

لكن إذا كان الأصم يجيب إجابة صحيحة، لكان الرجل يقول: لا
ينبغي إلقاء الكلام جزافاً أمامه. ولا يمكنه قول أي شيء.

عالم الله

ما معنى ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾^(٨١)، و﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ﴾^(٨٢)؟
نعم، إن مثل هؤلاء الحور هن عالم الله. قال: قس على ذلك أيضاً.
فقلت له: لم يبلغهن إنس ولا جان. يعني ألا يصل كل واحد منا من
هذا الشراب في هذا العالم على قدر مرتبته؟ زنجبيل وسلسبيل وكافور
وشراب طهور.

سبب النزول

ما معنى ﴿يُؤْتُونَ بِالَّذَرِّ﴾^(٨٣)؟ وهل وردت في حق العامة؟ يقول

(٨١) ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾. سورة الرحمن، الآية ٧٢.

(٨٢) ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ﴾. سورة الرحمن، جزء من الآية ٧٤.

(٨٣) ﴿يُؤْتُونَ بِالَّذَرِّ﴾. سورة الإنسان، جزء من الآية ٧.

هؤلاء القوم: إنها نزلت في حق علي.

إن سبب النزول يُفهم من الآية. ويجوز أنهم يقولون سبباً بارداً سمجاً.

معاني القرآن

قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن المصطفى ﷺ كان يفشي أسرار القرآن. وروى أن المصطفى صلوات الله عليه شرح معنى الآية الفلانية لأصحابه، وهمس في أذني بمعنى آخر. إذا قلته لكم، يقطع الصحابة حلقومي. من ثم من كان يُظهر لهم الكفر، كانوا يقطعون حلقومه!

إنما أنا بشر مثلكم

﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾^(٨٤). إن سبب نزول هذه الآية معروف لكم. وهو أن علياً رضي الله عنه كان يتبع المصطفى صلوات الله عليه في صيام متواصل عشرة أيام من شهر محرم. ولم يأكل طوال تسعة أيام وتسع ليالٍ. نظر المصطفى عليه السلام إلى علي، فوجد أثر ضعف، فقال: لست كأحدكم^(٨٥). فنزلت الآية: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾. والفرق أنه ﴿يُوحَىٰ إِلَىٰ﴾^(٨٦). وإنني أفعل أموراً معينة، لا يعلمها أي شخص. أفعلها بينهم،

(٨٤) ﴿إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾. سورة الكهف، جزء من الآية ١١٠.

(٨٥) لست كأحدكم: إشارة إلى الحديث: أن النبي ﷺ نهى عن الوصال في الصيام، فقليل له: إنك تفعله. فقال: إني لست كأحدكم، إني أظل يطعمني ربي ويسقيني.

الراوي: عبد الله بن عمر. المحدث: أحمد شاكر.

المصدر: تخريج المسند لشاكر. خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح.

الموسوعة الحديثية، الدرر السنية. dorar.net.

(٨٦) ﴿يُوحَىٰ إِلَىٰ﴾. سورة الكهف، جزء من الآية ١١٠.

ولا يعلم الأنف عن الفم سوى ما أريد.

كان السنائي يردد شيئاً عند الموت. ولما أنصبتوا إليه، كان ينشد هذا البيت:

عَدَلْتُ عما قلتُ لأنه ليس

للكلام معنى، ولا للمعنى كلام

شريعة محمد

ذلك الغيب وتلك المضمرات يتحدث الرهبان عنها أيضاً. والمتفق عليه أن شريعة محمد أفضل من الشرائع والسنن جميعها. وأولئك المنصفون ينصفون، ويقولون بأنه: ليست هناك شريعة قط مثل شريعة محمد في نظرهم وعقيدتهم.

كلمات

الأفضل للمرأة أن تجلس خلف المغزل في زاوية البيت، وتنشغل بخدمة ذلك الشخص الذي يراها.

عناية القاضي أفضل من شاهدي عدل.

يلزم الدرويش الفقر والصمت.

ما أفضل عمل لبائع التين؟

إنه بيع التين أيها الأخ.

خيال أم منام أم ماليخوليا!

قصة سعيد المسيب^(٨٧) الذي أسند إليه التدريس في بغداد. وقد

(٨٧) سعيد بن المسيب: هو أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المدني، توفي قرابة ١٠٥ هـ، كان أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، وقد جمع بين الحديث والفقه والزهد والعبادة والورع. أما عن قصة زواج ابنته، فقد أوردها ابن خلكان على النحو الآتي. قال أبو وداعة: «كنت أجالس سعيد بن المسيب ففقدني أيامًا، فلما جئته قال: أين كنت؟ قلت: توفيت أهلي فاشتغلت بها، فقال: هلا أخبرتنا فشهدناها؟ قال: ثم أردت أن أقوم، فقال: هلا أحدثت امرأة غيرها، فقلت: يرحمك الله ومن يزوجني وما أملك إلا درهمين أو ثلاثة؟ فقال: إن أنا فعلت، تفعل؟ قلت: نعم، ثم حمد الله تعالى وصلى على النبي ﷺ وزوجني على درهمين أو قال على ثلاثة، قال: فقمتم وما أدري ما أصنع من الفرح، فصرت إلى منزلي، وجعلت أتفكر ممن آخذ وأستدين، وصليت المغرب، وكنت صائمًا، فقدمت عشايا لأفطر، وكان خبرًا وزيتًا، وإذا بالبواب يقرع، فقلت: من هذا؟ قال سعيد... وإذا بسعيد بن المسيب، فظننت أنه قد بدا له، فقلت: يا أبا محمد، هلا أرسلت إليّ فأتيك؟ قال: لا، أنت أحق أن توتى، قلت: فما تأمرني؟ قال: رأيك رجلًا عزبًا قد تزوجت، فكرهت أن تبيت الليلة وحدك، وهذه امرأتك، فإذا هي قائمة خلفه في طوله، ثم دفعها في الباب، ورد الباب، فسقطت المرأة من الحياء، فاستوثقت من الباب، ثم صعدت إلى السطح، فنادت الجيران، فجاءوني، وقالوا: ما شأنك؟ فقلت: زوجني سعيد بن المسيب اليوم ابنته، وقد جاء بها على غفلة، وها هي في الدار، فنزلوا إليها، وبلغ أمني فجاءت، وقالت: وجهي من وجهك حرام إن مستهها قبل أن أصلحها ثلاثة أيام، فأقمت ثلاثًا ثم دخلت بها، فإذا هي من أجمل الناس، وأحفظهم لكتاب الله تعالى، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ، وأعرفهم بحق الزوج». وكان عبد الملك بن مروان قد خطب بنت سعيد المذكورة لابنه الوليد فرفض سعيد أن يزوجه لها.

انظر: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، حققه د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، المجلد الثاني، ص ٣٧٥-٣٧٨.

كانت له ابنة، بلغ وصف لطفها وجمالها أمير المؤمنين، فأبي حيلة وتوسل فعله غير البغي والظلم ليتزوج تلك الفتاة! ولم يتيسر له الأمر من دون شك.

كان فقيه فقير بائس يحضر درس سعيد المسيب، وكانت أمه مسكينة. وقع نظر ذلك الشيخ عليه، فدعاه، وسأله عن أحواله، لما انتهى من الدرس. وقال له: سوف أزوجك ابنتي، وستكون خليفة لي.

حكى الفقيه هذه القصة لأمه، فخافت أمه من أن يكون قد أصيب بالجنون بسبب الدرس في النهار، والتكرار في الليل، والتفكير والعوز. قالت: أرايت منامًا يا بني أم أنه خيالك؟ وليس لدي مال كي أعالجك.

قال: يا أمي، إنه ليس منامًا ولا خيالًا ولا بسبب العوز. وإنني أدركت الحقيقة البارحة.

كان حال الأم يزداد سوءًا، وكانت تتشاور مع نساء المحلة، وتقول: إن هذا الابن سوف يُفقدني الصواب. فلتُخَفِّه حتى لا يتحدث عن هذا الخيال مرة أخرى. ولو أنكن تستمعن إليه، تشهدن على جنونه.

ذهب الفقيه إلى الدرس في اليوم التالي. فدعاه الشيخ مرة أخرى، وألح في الأمر أكثر من ذي قبل. وكان هذا الفقيه طالب العلم يفرك عينيه، ويقول: عجبًا! لا قدر الله، هل هذا خيال أم منام؟ كما أن أمي ومجموعة من النساء يقلن: إنك فقدت العقل بسبب كثرة التفكير والهوس، وأصابتك المايخوليا.

يمعن الفقيه النظر في المدرسة وفي نفسه وفي المدرس، ويقول:
لا والله، إنه ليس خيالاً، وإنما ليست ماليخوليا أبداً، وإنه ليس مناماً ولا
جنوناً.

عاد الفقيه إلى البيت، وحكى الحكاية. قالوا: لقد أصابته ماليخوليا
شديدة، إنه يفقد الصواب، ويُفقدنا الصواب. الخلاصة كلما كان يبالغ
في الأمر، كانوا يبالغون في الإنكار.

وما إن اقترب وقت الزفاف، حتى دخل الشيخ البيت مرتدياً الخلعة،
ومنحه الذهب والفضة. كان الشك قد أصاب أمه، لكن الشكوك كانت
تتبدد.

وفي الليل أحضروا الفتاة. فتنظر الجارات والأم إليها متعجبات.
تقدم قوم من النساء اللاتي كن يعرفن الأمر إلى الفتاة، وكن يندهشن،
ويقُلن: إلهي، كيف يكون هذا؟

نادت الفتاة عليهن قائلة: لماذا هذه الدهشة؟ إنه من أهل العلم، ومن
أهل الفضل. ونحن أيضاً من أهل الفضل والعلم. بل إنه يفضلنا، لأننا من
أهل الدنيا، وهو ليس كذلك. من ثم فهو أشرف وأفضل منا. وينبغي علينا
عدم الانشغال بالدنيا، حتى نصبح مثله.

وعلى هذا النحو نظر السيد أحمد إلى ذلك الدرويش، وكان يرى
شيئاً في وجهه.

قال: ألا يدبر أبوك الأمر لك؟

قال: لا، إنه لا يستطيع.

قال: أمنحك ألف دينار، خذها. وأمنحك ابنتي أيضًا. وذهب إلى المنزل، وذكره، وكرهه، لأنه ليس ابن سيد، بل إنه فقير حافي القدم.

قال: احذر، ولا تظن هذا الظن. إنه يملك المال والثروة، لكن الزمن سيء، فيخفيها. وأنا مطلع على الأحوال.

مغزى حكايتنا أنهم يقولون: أيها السلطان، انهض، حتى نتسول. هل تكون الغرامة عليّ أم على ذلك الشخص الذي جعلني أنسى؟ أين أنا؟ لا علم لي. إذا رأيتني، أبلغني السلام! إنني أعلم، لكنني أتسلى. فماذا سوف يحدث؟

القوة لمن غلب

ما معنى الله أكبر؟ يعني الله هو الأكبر. فمن الأصغر إذن؟ إنه يبذل المهمة. ألم تقل: إن القوة لمن غلب؟

الدنيا قنطرة

قال: إنهم دراويش. قال: أنا عبد الدراويش. والدنيا قنطرة.

أنت حجاب نفسك

إننا نقول: يلزمنا شخص يبهجنا. وقد علمتُ، ومنحتُ مفتاح الخزينة لليد المبسوطة، لكن حجابًا يحجبها. وأنت نفسك تصبح حجاب نفسك.

إن الخيالات ليست قليلة. وأنت تشيرها بنفسك، وتجعلها حجاباً لك، وتنسج من ذلك الخيال خيالاً آخر، وهكذا.

والأخيلة جميعها ليست إلا لا شيء.

لا تحزن

لا تحزن بسبب مذمتهم. إن مذمتهم مثل مذمة اليهود لولد، لمّا لا يوافقهم، يقولون له: نراك خارج المسجد، مع أنك تتأبط المصحف، وتردد هذه الكلمة: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ما معنى وأعد لك ب رسان وال كاف رمان أع ده م ع د أب أ أى م أ؟ ولم ينبعث صوت من باطنك يوضح معناها ولا من ظاهره! ولا يجوز منع مثل هذا الكنز عن شخص مثلك.

تلك الطائفة هم الخاصة، وهم ظالمون لأنفسهم. بلى، إن عذاب العشق لهم وألمه عظيم. ولا يبقى عمل الآخرين، ما دامت أسماؤهم لا تُذكر. وكيف يتحقق الوصل لبنيامين^(٨٨)، ما لم يذكر بالسرقة؟

(٨٨) إشارة إلى قصة سيدنا يوسف مع أخيه بنيامين، وفحواها: لما قدم إخوة يوسف إلى مصر يمتارون طعاماً، ودخلوا عليه، عرفهم، لكنهم لم يعرفوه، فأعطاهم الميرة، وطلب منهم أن يأتوا بأخيه الأصغر بنيامين في العام المقبل. فلما جاءوا به في العام التالي، أخبره يوسف سرّاً بأنه أخوه، ثم احتال ليأخذه منهم، فأمر فتياه بوضع سقايته التي كان يشرب بها، ويكيل بها للناس الطعام، في متاع بنيامين. ثم أعلم إخوته بأنهم قد سرقوا صواع الملك، فلما عاينوا استخراج الصواع من حمل بنيامين، يتسوا من أخذه معهم، ورجعوا.

انظر: أبو الفداء إسماعيل بن كثير: قصص الأنبياء، ص ٢٩٢-٢٩٩.

وكيف قال درويش على قبر أبي يزيد: لقد بقي له حجاب، وانتقل
بذلك الحجاب!

موجود يطلب معدومًا!

قال: أظهر تلك الثروة التي تملكها، فلماذا تنكرها؟ قال: إنني لا
أملك شيئًا. قال: هات من ذلك المعدوم. قال: هات أنت أولًا من ذلك
الموجود. قال: موجود يطلب معدومًا. قال: إنني أبكي، ويلزمني شخص
يبهجنني. من ثم اسكر حتى تصحو.

قلبي لا يريد شيئًا

ذلك السلوك هو سلوك الأطفال. وقد أثنى عليه قائلًا: الطريق هو
صحبتك. والسالك هو من يصحبني. ولو أنه لم يكن عالمًا. قال: بل
كان. قال: إنك هروي، ولست من أهل الري. لماذا أحزن، والكون
ملكي؟ هل أنت مالك كوني؟

من ثم لأي أمر هم يصلحون؟ إنهم لا يصلحون للدين ولا للدنيا.
إنهم سخفاء بائسون. قدّم العذر، وسأذهب إلى الخلوة للتسلي. ينبغي
لك منهم أم ينبغي عليك لهم؟ هل أنت منا ونحن منك؟ كيف؟ والله،
إنهم ليسوا منا، ولا نحن منهم. إن له لحية ووجودًا، ولي لحية ووجود.
ماذا أفعل له إذن؟ إلهي، بماذا أدعوك لشخص؟ إلهي، فلتبهه ما يريد قلبي
له. وقلبي لا يريد أي شيء!

هذا أولها

قال ذلك الدرويش: لقد تعلمتُ من أبي عبد الله المصطفى عليه السلام، ما لم يتعلمه الصّديق، وما لم يعرفه. فتعلم مني، ولتصبر على الطعام، ولتتعفف. هذا أولها. فما هذا الضعف؟

السلطان ظل الله^(٨٩). ولم يستطع إنصاف أبي الحسن الخرقاني^(٩٠).

البحر كريمة

ما دمتَ قد سقطتَ في البحر، وأنت لا تعرف السباحة، فمُت، حتى يدفعك الماء فوق سطحه. فقد لفظ واحدًا واثنين، وإنه كريم.

قدرة الله تعالى

﴿كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾^(٩١). من ثم أدر وجهك، حتى يتبعك الظل.

(٨٩) السلطان ظل الله. إشارة إلى الحديث: السلطان ظل الله ورمحه في الأرض، فمن نصحه ودعا له، اهتدى، ومن دعا عليه ولم ينصحه، ضل.

الراوي: أنس بن مالك. المحدث: السخاوي.

المصدر: المقاصد الحسنة. خلاصة حكم المحدث: ضعيف.

الموسوعة الحديثية، الدرر السنية. www.dorar.net.

(٩٠) أبو الحسن الخرقاني؛ هو علي بن جعفر، من أهل خرقان التابعة لبسّاطم. ويعد من كبار صوفية القرنين الرابع والخامس الهجريين، وتوفي سنة ٤٢٥هـ.

فريد الدين العطار النيسابوري: تذكرة الأولياء، ترجمة وتقديم وتعليق د. منال اليمني عبد العزيز، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٩م، المجلد الثاني، ص ٥٦١. وللمزيد من المعلومات انظر ترجمته في الكتاب نفسه ص ٣٤٣.

(٩١) ﴿كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾. سورة الفرقان، جزء من الآية ٤٥.

كان الصّديق يتضرع إلى الله قائلاً: يا دليل المتحيرين. وكان محمد يبتهل من ناحية أخرى قائلاً: يا ليت رب محمد لم يخلق محمداً^(٩٢).

يطلب أحدهم ذرة من الراحة بألف رجاء وتوسل. فيقولون: سهّل الله. ولا يتركون آخر يخرج، ويصبون الماء فوق رأسه. ويستغيث ثالث، فلا يمنحوه قطرة ماء. ولا يتركون أحداً يخرج من النهر.

شروط الصلاة

لا أعلم ماذا قرأتُ في الصلاة، غير أنه لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب^(٩٣).

ما شأنك؟

ينشد أحدهم نشيداً، ويرقص قائلاً: رأيتُ سفرة، وهم يحملونها.

(٩٢) يا ليت رب محمد لم يخلق محمداً. ورد في مقام التمني عن يا ليت لم يخلق هذا: إذا رأى أنوار القدم بنور القدم الغالب على أهل العدم وألاً يوازيها الحدثان، ولا يدرك غورها أهل المعارف، ويبقى في نكرة النكرة، ويأس من اللقوق بمعرفة المعرفة، والعلم بالأولية، وأداء حقوق الربوبية، يتمنى بأن الله سبحانه لم يخلقه، ألا ترى كيف قال عليه السلام: ليت رب محمد لم يخلق محمداً؟ قال العارف قدس الله روحه: إذا بقي العارف في الحياء من القدم تمنى العدم. محمد روزبهان بن أبي نصر البقلي القسوي الشيرازي: مشرب الأرواح، ألف مقام ومقام من مقامات العارفين بالله، ضبطه وصححه وعلق عليه د. عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص ٣٠٣.

(٩٣) لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب. إشارة إلى الحديث: لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب. الراوي: عبادة بن الصامت. المحدث: البخاري. المصدر: صحيح البخاري. خلاصة حكم المحدث: صحيح. الموسوعة الحديثية، الدرر السنية dorar.net.

ولو أنهم يحملونها إلى بيت شخص آخر، فما شأنك أنت؟
 ما دمت تتقاعس، فماذا تطلب إذن؟ بقدر الكد تكتسب المعالي^(٩٤).
 يعني لا يكف عن الطلب، وليته كان يغفل في الظاهر.

دودة الأرض

ما أعجب كمال القدرة، وقد منح دودة الأرض هذه المرتبة. كانوا
 يتحكمون فيّ، وكنت راضيًا. وقد تركتكم. وما دمت قد علمتَ بذلك،
 فماذا يجب عليّ فعله؟ أنت مستوقد، وقد تركتُ أنا المستوقد. ووجدتَ
 أنت أصحابًا آخرين.

فلما تجلّى ربه

إن الصخر لا يطيق أن يقرأ الأطفال: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ﴾^(٩٥). وقد
 تصدى لذلك الأمر في كل يوم. وعلى هذا النحو كان ينظر إلى الشمس،
 فيجد أنها لا تنقص مثقال ذرة، فيستغيث بها. وكيف لا يفر من النار؟
 والأسود في ذلك المقام فراشات!

(٩٤) بقدر الكد تكتسب المعالي.

مصراع من قصيدة للإمام الشافعي م ٢٠٤ هـ. من أبياتها:

بقدر الكد تكتسب المعالي	ومن طلب العلا سهر الليالي
ومن رام العلا من غير كد	أضاع العمر في طلب المحال
تروم العز ثم تنام ليلاً	يغوص البحر من طلب اللآلي

diwan db. com

(٩٥) ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ﴾. سورة الأعراف، جزء من الآية ١٤٣.

النساج

إن النساج لا يهمل النسج، لكنه يتجول، فأين الحرير؟
كانت ثلاث فتيات قد جلسن معًا. وكانت كل فتاة تتحدث عن حرفة
أبيها، فتقول إحداهن: إن أبي ينسج بطانة قباء السلطان، إنه نساج.
إنه يُقَبَّل عيني، فما المنة في ذلك؟ ولو أنه كان يقبل قدمي، لكان
ذلك نقصانًا. هكذا يرون ويتحدثون. وكان ذلك ما يقولونه.

زوجات الرسول

كان للرسول ﷺ تسع حجرات^(٩٦)؛ مع تلك الرفعة والمرتبة والقوة!
وكان يلزمه أربعمائة، فأَي قيمة لمائتين؟

منزل من البوص

عيسى كلمة مجردة^(٩٧). اعتقاد يعتقده النصارى. إنني لا أستطيع
التأوه، فالمنزل من البوص، ولو ينظر المرء إلى الولد، يصير الولد حجابيه.

(٩٦) ربما قصد زوجات الرسول ﷺ، وهن على النحو الآتي: خديجة بنت خويلد،
سودة بنت زمعة، عائشة بنت أبي بكر، حفصة بنت عمر بن الخطاب، زينب بنت
خزيمة، أم سلمة، زينب بنت جحش، جويرية بنت الحارث، أم حبيبة، صفية بنت
حيي، ميمونة بنت الحارث، مارية القبطية. ar.wikipedia.org.

(٩٧) إشارة إلى الآية: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا
الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا
تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ سُبْحَنَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾. سورة النساء، آية ١٧١.

السمندر

ليس عجباً أن يعشق السمندر النار في كل يوم. وكل إنسان يعشق شيئاً.

السند القوي

إنني أسند ظهري، وأملك سنداً قوياً. وأنت صاحب صدر الشريعة، والاستناد إليك.

شفاة المحبة

ألحقوه بخدمة المصطفى ﷺ، وهو لا يصلي. قال: بلى، إنني لا أستطيع أداء أي عمل، لكنني أحب الله تعالى، وأحب الرسول. ألا تشفع لي محبتكما؟!

هم الأصل

ماذا يظن فلان بي؟ لو أتحدث في مجلس، يقول: إنه ليس سيئاً. ليس هناك شك في أنهم هم الأصل، وأن الآخرين يقلدون كلامهم. كنا نقول: لا شأن لنا. وقد وقع أمر الآن. وأولئك الآخرون يخفرونهم، وهم فارغون.

إن كل كلام يصدر عنهم، يفتح الأبواب، لو أنه يسمع. ويجوز أنه يتحدث ولا يسمع، وربما أنه لا يتحدث ويسمع.

ألف دبوس

رأيت قلندريًا كان يمضي مرتديًا الحرير والعمامة الذهبية. وكان قد غرس ألف دبوس في ذلك الحرير، لكنه كان يمضي مسرعًا، ليلحق بالأصحاب.

إن الألف دبوس والمائة ألف دبوس لا تساوي شيئًا هناك. وفي هذا الوقت كانت امرأة تتحدث بألف معرفة.

قافلة الحج

كان مسكين يرى الحج في المنام، ولم يكن يدرك قافلة الحج. إنهم يقطعون أول منزل مرة واحدة في ثلاثة أيام. وربما وصلوا إلى حدود البادية بعد ذلك.

ينادي المنادون: انتبهوا، إنكم تُهلكون أنفسكم! إن الأب في هذا الطريق لا يبالي بابنه، والابن لا يعتني بأبيه! إنها القيامة ماثلة الآن.

عاد آلاف الأشخاص من ذلك المكان، لأنهم يقولون: هكذا كان منزل الحج الأول، وينبغي السير خمسة وعشرين يومًا على هذا النحو.

تزيد همة الرجال بسبب قوله، وهو يتحدث، ويتقدم مسرعًا، ويحكي حكاية. فماذا تساوي الروح عنده؟ ذلك لأن الشخص الذي ضحى بالمال، وجد شيئًا أفضل من المال. وذلك الشخص الذي جاد بالنفس، أدرك شيئًا أفضل من النفس، لأن شعرة منه تفضل مائة ألف دينار.

إنني أقول للعقل وللعائل: دعك من أولئك المجانين الذين يضحون

بأرواحهم في سبيل المال، وَجَدَ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنَ النَّفْسِ، فَضَحَّى بِالنَّفْسِ،
ووجد شيئاً أفضل من الروح، فضحى بها كذلك.

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ
وَالْمَرْبِ وَبَشِيرِ الصَّابِرِينَ﴾^(٩٨). إن هذا ليس ابتلاء، أبشِر، وتأمل نظرهم
إلى صبرهم.

إن الاستمتاع بالتنزه في البادية -الذي يتحقق بنور اليقين- شيء،
والتنعم بأداء الحج شيء آخر.

انتبهوا، إننا نؤدي الصلاة بالإيماء. والعامل تكفيه الإشارة^(٩٩). ولا
نحط المتاع، ما دمنا لا ندخل من باب الكعبة. لا ينبغي التفكير، ولا يجب
عليك أن تستغرق في حيرة الفكر، وقد غلبك النوم، فسقطت من فوق
الجمال.

لا تشغل بذكر الحج، والمتاع ليس إلا لا شيء. والتعلل غير ممكن.
ربما تستنفر الدابة بتحريك العرقوب. ويؤخر الولد ذلك الرجل عن طي
الطريق. ولا يمكن قول ذلك الكلام أيضًا. إنه يقول: تعال. وإذا انشغل
بذلك الكلام، مضت القافلة.

(٩٨) سورة البقرة، آية ١٥٥.

(٩٩) العاقل تكفيه الإشارة. إشارة إلى المثل: العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الإشارة.
يضرَب في خسة العبيد.

أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري: مجمع الأمثال، حققه، وفصله،
وضبط غرائب، وعلق حواشيه، محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة السنة
المحمدية، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م، الجزء الثاني، ص ١٩.

اللعبة العجيبة

قلت له، لكنه نسي مرة أخرى. إنه يقول: لقد أصابتنا القشعريرة والحمى. قال: صحيح. وكان ينبغي أن يقول: صحيح من قبل. وقولها بعد الكلام يكون كذبًا. كما أنك تنادي وتصيح بعد ذلك. ويعد هذا خبثًا وباطلاً ونجاسة.

هل عالم الله بيت للنجاسة؟ من ثم إنك لم تبلغ العالم الروحاني، تحدث عن كل شيء تريده في الظاهر أو الباطن أيضًا. قبض بيده على فمه بقوة. فالسفيه يعرف الله تمامًا بقطع اللسان.

ادفع دية جبريل من كنز الحكمة! فإنهم كلما يحتسون الخمر، يصبحون أكثر يقظة! وهؤلاء يشربون الخمر، ويشملون. وهم سُكَّارَى يُقَاظَى.

تضرع إليه! كان أحدهم يقول للآخر عن تلك اللعبة: إن هذه اللعبة عجيبة! فاحتجب أنت، وسيصمد هو.

خانقاه أبي سعيد

إن سبب بناء الخانقاه هو أن أبا سعيد رأى قومًا، فظل حائرًا في أمرهم سبعة أيام. وفي الأسبوع التالي كان يتعقبهم فاقداً الصواب مضطربًا. فقالوا له: لماذا اضطربت؟ وطلب أحدهم شيئاً منه ليأكله.

دبر أبو سعيد حيلة، وأحضر الطعام بسرعة، فحظي بقبول الملك. قال له الملك: جَهِّز مكانًا لهذه الطائفة التي لا تهتم بإعداد الطعام وطهيه،

فيكون الطعام جاهزاً حين يحتاجون إليه. وقد أنشأ الخانقاه لمثل هؤلاء القوم، وليس من أجل أهل الخانقاه الذين لا يفرغون من همّ اللوت (الطعام اللذيذ).

رؤية الله

قوم قليلون هم الذين يقولون: إن الله تعالى يمكن رؤيته في المنام. ولا يجيز أغلب القوم رؤيته في النوم أو اليقظة.

المقلدون

إنهم مقلدون، والأكثر تحقيقاً هو الأكثر تقليداً. هناك قوم مقلدون للقلب، وقوم مقلدون للصفاء، وقوم مقلدون للمصطفى، وقوم مقلدون لله تعالى، ويتحدثون عن الله تعالى. وهناك قوم غير مقلدين لله تعالى، ولا يتحدثون عنه، بل إنهم يتحدثون عن أنفسهم.

﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾^(١٠٠). إنه يقول: لكلمات ربي. و«إنه يقول» تنقسم إلى قسمين: هو وحقيقته.

يقول آخر: إنه يتحدث إلى نفسه، هذا هو. فلمن تتحدث أنت؟ يقول: هكذا هو أطف.

الغيبية والوحشة

ذكر الغائب غيبة وذكر الحاضر وحشة. هذا الشخص الذي يذكره،

(١٠٠) ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾. سورة الكهف، جزء من الآية ١٠٩.

لا يخرج عن حالين: إما حاضر أو غائب. فلو أنه غائب، يغتابه. ولو أنه حضر، فكثرة ترديد الذكر في حضوره وحشة.

يجلس غلام السلطان الخاص المحبوب في حضرته، ويقول في كل لحظة: فعل السلطان كذا، وقال السلطان كذا، من ثم فقد اجترأ عليه، ولم يعد محبوباً له.

الغيبة من الكبائر، وهي واحدة من الكبائر الأربع، ألا وهي: الغيبة والبهتان والقتل والظلم. ومرتكب الكبيرة لا ينجو من العذاب، ما لا يحله الخصم.

أرسل الله تعالى لنا دابوقاً. ومن ثم فالكمثرى ليست من نصيبنا، والكمثرى غذاء سيئ الهضم، والدابوق سهل الهضم.

حان وقت الرحيل

لَمَّا قالوا: إن السيد قد رحل. أصابني الجنون، وقفزت إلى الخارج من دون نعل. قالوا: أبشّر، إنه سوف يعود الآن. فقلتُ: هل وصل السيد؟ قال: بلى. فعادت لي الحياة، واطمأنت. إنسان وإنسان، ألتحق بالخدمة إذن، وأتعلم شيئاً، وأحبط الرفاق.

خرجتُ، وفقدتُ الصواب على هذا النحو، ومثلتُ أمامه. يقول لي: أين أنت؟ لماذا لم تأتِ؟ قلتُ: وماذا أفعل حتى أمثل أمامك؟ قال: ألا يحملك حمار؟ إنني عاجز أمام هذه النفس، فكيف أقبلُك؟

تحدثتُ معه عن أشياء. إذا لم يكن ذلك الحال قد اعتراه، لكان يصفعني على عنقي، ويهلكني! بالقبضة التي إذا لكم بها هذا الجدار،

لكان يتصدع، وينهدم.

ماذا أكون أنا الضعيف؟ شاب قادر قوي! لكن لَمَّا اعتراه ذلك الحال، لم يفعل شيئاً، وتأدب، وتواضع لي.

إنني أقول: إن لي رفاقاً وإخواناً، أذهب، وأشاورهم. إذا قالوا لي: اذهب. أنظر هل سيتركونني أم لا. وإذا لم ينشغل خاطرهم بي، أهلك حيثما ذهبُ.

إن الإنسان ينظر إلى خلاصة عزمه في النهاية، ويقول: ماذا يحدث لَمَّا أحقق ذلك الغرض، وأبلغ منتهاه؟ ماذا يحدث هل أصبح ابن البواب^(١٠١)؟ وَلَمْ يستقر البواب المسكين في ذلك الدرك؟ من ثم حان وقت الرحيل، لذلك فارقَ هذا الوجود في كل لحظة، وتعالَ في كل لحظة، وارحل في كل لحظة!

فوق العرش

ما أظيبه من عالم، عالم الحق! إنه عالم منظم ومتناسق.

قال: إنهم ثبطوا عزيمتنا. فذاك يقول: إنه فوق العرش، وهذا يقول: إنه منزله عن المكان والمستقر. وقد أصابتنا الحيرة!

(١٠١) ابن البواب: هو علي بن هلال البغدادي، الخطاط و كاتب العرب، توفي عام ٤١٣ أو ٤٢٣ هـ. كان أبوه قاضي بغداد. يقول البعض: إنه كان بواب آل بويه، ولهذا لُقّب بـ«ابن البواب». واخترع الخططين الريحاني والمُحَقَّق.

انظر: شمس الدين محمد بن ملك داد تبريزي، مقالات شمس تبريزي، تصحيح احمد خوشنويس عماد، ص ٢٤٣.

تقول زوجته: هيك يا رجل، فليطُل عمره، وليطِب وقته حيثما وُجد (١٠٢).

لقد نسيتُ

كنتُ فقيهاً، وقرأتُ كتاب «التنبيه» (١٠٣) وكتباً كثيرة غيره. لا يرد شيء منها الآن على خاطر. ربما نمثلُ أمامه هكذا، فيرفع رأسه، ويواجهني. ولو أنني لا أفكر في الحكاية! آه، اذهب ثم تعال. أحلى من عصر الشباب مخالطة ذوي الألباب.

حروف القسم

حروف القسم ثلاثة: الواو والباء والتاء، يعني والله وبالله وتالله. هذه هي حقيقة الحال.

نعم، وبذات ذي الجلال الطاهرة المنزهة، إن أولئك القوم يتعلمون في تلك المدرسة. ونحن نذهب إلى المدرسة، حتى نتعلم العلم. وهم يقولون في هذه المحافل: إننا نتعلم حتى نحتل المكانة الفلانية، ونشتهر بسرعة.

(١٠٢) إشارة إلى قصة الهمداني والوعاظ التي وردت في المقالات.

(١٠٣) التنبيه: المقصود كتاب التنبيه في فروع الشافعية لأبي إسحاق الشيرازي ٤٧٦هـ، وكان من أوائل المدرسين في نظامية بغداد. ويعد كتاب التنبيه واحداً من خمسة كتب مهمة ومشهورة في الفقه الشافعي، وقد كُتبت له شروح كثيرة. ويتضح من ذلك أن شمس الدين كان من أتباع المذهب الشافعي، وكان شافعيًا نسبة إلى قوله.

انظر: شمس الدين محمد تبريزي، مقالات شمس تبريزي، تصحيح وتعليق محمد علي موحد، ص ٣١٥.

لماذا تتعلم من أجل لقمة دنيوية؟ وإنني أتعلم غير مشغول بمن أكون، وما جوهري، ولماذا جئت، وإلى أين سوف أذهب، ومن أين أصلي.

الماء في الإبريق

بما أن هذه المعاني في العبارة مثل الماء في الإبريق، فإنني لا أحصل على الماء من دون الإبريق. إن تلك المعاني عربية، ومكتسبة بالعربية. وأنا أريد أن أفهمها، وليس المقصود من تعلم العربية سوى ذلك.

أنت مقصودي

أنت مقصودي من الكعبة وبيت الأوثان.

إن مقصودي من بيت الأوثان هو خيالك وجمال وجهك. ولو أنني أريد حسناء الألفاظ من أجل تلك المعاني، فإنها لا تبقى من دون محبوب، ويلزمها محبوب من دون شك.

من ثم أين نذهب؟ وكيف ننجو؟ لقد سقطنا في المخيض. وأي مخيض! إنه المخيض الذي لا حد له. ولا يوجد قُدر له حافة حتى يصعد إليها من المخيض. وإنه ليس عسلاً، كلما يتصاعد، يزداد.

قدر مقدور

قالوا لأبي نجيب^(١٠٤): ألا ترى نفسك؟ إن هذا ليس قدرك المقدور.

(١٠٤) أبو نجيب: ربما يكون المقصود هو الشيخ أبو نجيب عبد القاهر السهروردي عارف القرن السادس الهجري المشهور.

انظر: شمس الدين محمد بن ملك داد تبريزي، مقالات شمس تبريزي، تصحيح أحمد خوشنويس عماد، ص ٢٤٤.

دعك من الأربعينية، واخرج، وانتظم في الصف؛ ربما يراك، ويتنبه إليك، فتحل مشكلتك.

قال صهر بدر الضرير أمام شمس الدين صهر شهاب الدين بن الوركاني: ليس هناك قدر مقدور مثل وعظ جلال الدين. هذا الكلام صحيح، فمن يعلم كلام الله وقوله؟ إنه عبد الله. فكن عبدًا لله، حتى تفهم قول الله وكلامه.

العالم الأكبر

إنني لا أقول: تصبح الإله، ولا أنطق بالكفر. إن أقسام الموجودات والحيوانات والجمادات والفلك اللطيف جميعها موجودة في الإنسان. وما هو موجود في الإنسان، غير موجود فيها. إن الإنسان هو العالم الأكبر في حقيقته. وهو يقول: لا يسعني سمائي ولا أرضي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن^(١٠٥).

إن الفرق بين أحمد وأحد ليس كبيرًا.

هناك ميم، وهي حجاب المعنى الواضح

تلك الميم هي وثن العالم ما دامت قد ظهرت

ما أعجب الإنسان الذي يعادل الأقاليم السبعة والوجود بأسره! إنهم

(١٠٥) إشارة إلى الحديث: ما وسعني سمائي ولا أرضي، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن. والحديث لا أصل له.

أحاديث منتشرة لا تصح، الدرر السنية. daorar.net.

أناس، وهم أمة محمد. عين محمد مبصرة بك، العين المحمدية مبصرة،
وأنت أمته، وأنت أمة له، يتباهى بها أمام الحق تعالى.

يأخذ محمد بيدك، ويقدمك لموسى وعيسى، ويتباهى قائلاً: إن
مثل هذا الشخص هو أمتي. ويعرض السيد على العرش وسكانه متباهياً،
ويقول: انظروا.

الركن العجيب

ما أعجبه من ركن! وقع نظره عليه فجأة، فغاب عن الوجود، ومات.
يحافظ الرجال على نظام السير، حتى إنهم يلتفون حوله، ويدخلون
بالترتيب. وقد أردتُ السلام عليه، ورأيتُ لو أن شخصاً كان يسلم عليه
من بعيد، كان ينحني له. من ثم ماذا تتوقع منه أفضل منه؟ وماذا سوف
يفعل لك؟ وأنت تحظى بذلك الأجر الوفير الذي يكفي عشرين مثلك!
كان من الضروري أن يسلم ويتواضع. ولم أكن أهتم قط إلا على
سبيل الشفقة. من ثم تأمل الحال والعمل. إنه لم يُسَلِّم.

سن المراهقة

كنت لا أزال مراهقاً، ولم أبلغ سن الرشد، ولم أكن أشتهي الطعام
ثلاثين يوماً أو أربعين يوماً بسبب هذا العشق. وإذا كانوا يتحدثون عن
الطعام أمامي، كنت أشوّح بيدي وأشيح بوجهي عنهم. وفي أي وقت
كانوا يمنحونني لقمة، كنت أقبلها، وأطيع الأمر، وأخفيها في كُمِّي.
أدرك ذلك الرفيق اضطراب حالي في السماع مع مثل هذا العشق. وكان

يدور مثل طوير. وهكذا كنت في يده مثل رجل أمرد لم يكن قد أكل شيئاً طوال ثلاثة أيام، ويقع في يده رغيف، فكيف يخطفه، ويقطعه بسرعة وعجلة واندفاع؟! وكان يحركني، وكانت عيناه مثل طاسين مملوءين بالدم.

هتف به هاتف: إنه ما زال خاماً، فنحّه جانباً حتى يهلك. حاشا لله أن تأتي بفاحشة من الحَمَّارات، وهو لا يزال يرقص في غاية الخفة والنشاط.

الكون يرقص

إن السماوات السبع والأرض والخلق جميعهم يرقصون في تلك اللحظة التي يرقص فيها صادق. ولو يرقص مؤمن مسلم في المشرق، وكان هناك مسلم في الغرب، فإنه يرقص أيضاً، ويتهيج.

الجمل والنملة

رافق جمل نملة، ووصلا إلى نهر. جذبت النملة رجلها، فقال الجمل: ماذا حدث؟ قالت النملة: إنه ماء. وضع الجمل قدمه في الماء، وقال للنملة: تعالي، إن الأمر سهل، والماء قد يبلغ الركبة. قالت النملة: شتان بين ركبة وركبة! لقد بلغ الماء ركبتك، لكنه غمرني.

طرب لا يطرب

عُقد مجلس سماع. وكان المطرب لطيفاً عذب الصوت، لكن الصوفية الأصفياء لم يطربوا له.

قال الشيخ: انظروا إلى النعال. ولم يكن هناك نعل غريب.

إن العقل يسلك الطريق إلى المنزل، لكنه لا يدخله. فالعقل حجاب والقلب حجاب والرأس حجاب. وإن لنا أصحابًا كثيرين في الكنائس والمعابد.

حاصل دنيانا

«يا من استمات في حل العقد والمشكلات». إن الإنسان خُلق لغرض، ألا وهو: أن يعرف نفسه من أين جاء، وإلى أين مرجعه. وقد أنعم الله تعالى عليه بحواس الباطن والظاهر، لأنها عدة هذا الغرض. وهو يستخدمها في شيء آخر، ولا يأمن على نفسه ما لا يصبح عيشه طيبًا رغدًا، وما لا يطلع على أوله وآخره، ويقضي زمنًا في الاشتغال بالعلوم -وهو أفضل مشاغل أهل الدنيا- وينأى عن المقصود.

يقول أفضل المتكلمين^(١٠٦) في هذا الشأن في آخر عمره: وحاصل دنيانا أذى ووبال. هذه نصيحة للعالم بأسره، لأن ذلك الزمان لم يكن زمان التكلف، ولم يكن ذلك الزمان أيضًا الزمان الذي يؤول فيه الكلام.

وأرواحنا في وحشة من جسوننا

وحاصل دنيانا أذى ووبال

أجاب قائلًا: بلى، إنهم لا يشعرون بالأمان، ولا يرضون بالطمأنينة.

(١٠٦) المقصود: فخر الدين الرازي ٦٠٥هـ.

قال: ما فائدة اجتناب الحديث إلى النفس، وإسداء النصح للآخر، ونسيان النفس سوى التفرقة؟

قال: بلى، إنهم يجتنبون الحديث إلى النفس، ويسدون النصح للآخرين، ولا ينصحون أنفسهم.

لكن لماذا رحلتَ عنا مدة حتى إنك تعتذر قائلاً: إنني ندمتُ؟ ولماذا رحلتُ؟ نحن أيضاً سوف نرحل، ونفارقك المدة نفسها تأديباً لك. وقد ندمتَ في النهاية، كما ندمتَ في البداية، لما ادعيتُ أن بيننا وصلاً. إن التراب في يده أفضل من الذهب في يد الآخرين. وإنك لا تعلم قدر هذا الوصل، ولا بد لك من التأديب.

ميلاد بعد الميلاد

هذا الميلاد الذي أدركته، تشاركك فيه الحيوانات كلها. فإذا كان لك هذا الميلاد نفسه، فإنك لا تتميز عليهم. ولا يطاق بساط الرحمن، ولم يعرج على الملكوت، من لم يُولد مرتين^(١٠٧).

قال هذا لم يقله الشيخ، وهذا نقل لا يصح. قال: بحثنا في هذا الكلام المنقول سواء كان صحيحاً أو لا. قال طالب: يا مطلوب، لا تكلفني

(١٠٧) إشارة إلى قول عيسى عليه الصلاة والسلام: «لن يلج ملكوت السماوات والأرض من لم يُولد مرتين»، والولادة الثانية هي الخروج عن الصفات الحيوانية بتزكية النفس عنها، وولوج الملكوت هو التحلي بالصفات الروحانية. انظر: إسماعيل حقي: روح البيان في تفسير القرآن، تفسير سورة آل عمران، آية ١٣٤. التفاسير العظيمة. greatafsirs.com.

بشيء، فإنني أعبدك بأضعاف ما تكلفني من عشق نفسي، فإن التكليف وحشة وثقيل. قال المطلوب: قليل من التكليف وتحمله خير لك من ألف ألف عبادة بغير تكليف. درهم تعطيه مع طلب المطلوب خير من ألف درهم من تلقاء نفسك. وما قدروا الله حق قدره^(١٠٨). فرحوا بقليل من الدنيا، ولم يفرحوا بألف ألف حكمة بالغة تقربهم إلى حياة الأبد. وفرحوا بدرهم حتى يجدوا، وخضعوا، وذلوا، وتمرغوا، وقلبوا الأرض. يا لها من خساسة! تعالوا، تكون أمورنا كل صحة شورًا في جميع الأمور حتى المطعم، ولا نناق حتى في المطعم. قال الطالب: سألت نفسي طاعة، فلم تُجِب نسيانًا أو عدوانًا. قال المطلوب: اطلب من نفسك الماء الأحمر أو الماء الأبيض أو الأبخرة التي تصلح للحياة، ولا تسأل منها الطاعة، فإنها ما نشأت من منشأ الذكور. ولهذا قال: ﴿لَا تَنَجِدُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ﴾^(١٠٩).

زلزلة الأرض

إن زلزلة الأرض كانت بسبب قرن ثور، وكانت الأرض كلها تتزلزل. تُخَسَف مدينة، وتَسَلَم مدينة أخرى. لقد سَمِعْتُ كلام الحق، وإنها قدرة الله تعالى!

مثلما تصلي، وتنفض سجادة الصلاة بسهولة. يعني أيها الطفل عديم الأدب، خذ العبرة! وأيها الشيخ، لا تتصاب! يا طالب الطريق، اطلب

(١٠٨) وما قدروا الله حق قدره. سورة الزمر، جزء من الآية ٦٧.

(١٠٩) ﴿لَا تَنَجِدُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ﴾. سورة الممتحنة، جزء من الآية ١.

الطريق، والتمزم بشروطه!

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾ (١١٠). إذا زلزلت منها أجزاء كثيرة، أتعلم ماذا يحدث؟ إنها يد قدرة اللطيف، ولا تبدو مختلفة عن يد الجسم. في البداية تتجلى المهابة، وفي النهاية يتحقق الذوق كله والفتح. وبعد أن يدرك الذوق، يرتقي كلما يزداد التكليف.

حديث عن التصوف

إنهم يدبرون أمورهم، ويتغاضون عن أفعالنا، ويسعدون.

قل له كذلك: إنني لم أجد بسبب أنك طعنت في كلامه. وقد أطلق على القلب: كعبة. وقال بعد ذلك: إنه شخص عجيب! وهكذا قال في وجهه. إنه يقول: إنني أستغفر بسبب ذلك. وأنا أقول: ما دمت تعلم مثل هذا الخبر، فلماذا لم تخبرني به في الخارج؟ إنه قدوة في الشرع، ويلزمه أن ينصت إلى أحكام الشرع.

لو أنه لا يعلم كيف يكون مسلمًا، يتجه نحو الحجر من دون أن يكون فيه سر أو حقيقة. سبحان الله! كيف أنكر مثل هذا المعنى؟ من ثم إنه لا يمهلنا كي نتحدث بذلك العذر.

نتحدث عن التصوف إذن، نعقد مجلس السماع يوم الثلاثاء أو يوم الجمعة. لقد خاصم هو والزهراء بعضهما بعضًا، ولا أعلم ما الغرض.

(١١٠) ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾. سورة الزلزلة، جزء من الآية ١.

مميزة المعاناة

كيف تجعل المعاناة الإنسان مستعداً للإحسان؟ وما دامت المعاناة لا تتحقق، تصبح الأنانية حجاباً. ومن ثم ينبغي أن يعاني الرجل السوي دائماً، ويشق على نفسه، حتى يسلم من الآفات.

يقول محمد ﷺ: من اتسع يسع^(١١١).

غذاء الروح

إن الرجل الذي لا يتبع محمداً، لا يصير منكراً، ولا يصبح كافراً. ما معنى هذا؟ معناه أن النصراني واليهودي أفضل منه. فماذا يعرف هو؟ وأي قوة له هنا؟ هل مولانا موجود هنا؟ تعال، حتى ننزوي. هل هذا أنت؟ كنا محتاجين، فتعال، حتى ننزوي. ألا يكفي وعظ واحد لمعاملة؟ فلماذا هذا الباقي؟ إنه من أجل غذاء الروح، والعون على العمل.

(١١١) من اتسع يسع. إشارة إلى الحديث: ضرب رسول الله ﷺ مثل البخيل والمتصدق، كمثل رجلين عليهما جُنتان من حديد، قد اضطرت أيديهما إلى ثدييهما وتراقيهما، فجعل المتصدق كلما تصدق بصدقة انبسطت عنه، حتى تُغشي أنامله وتعفو أثره، وجعل البخيل كلما همَّ بصدقة قلصت، وأخذت كل حلقة مكانها. قال: فأنا رأيت رسول الله ﷺ يقول: بإصبعه في جيبه فلو رأيتَه يُوسّعها ولا تَوَسّع. الراوي: أبو هريرة.

المحدث: مسلم.

المصدر: صحيح مسلم.

خلاصة حكم المحدث: صحيح.

التخريج: أخرجه البخاري ومسلم.

الموسوعة الحديثية، الدرر السنية. dorar.net.

بعد ألف سنة

حين يكون هناك كلام جدير بالقول، ويتوسل العالم بأسره إليّ كي لا أتكلم، فإنني أتكلم! وكل تعليم في هذا الكلام، يصل إلى ذلك الشخص الذي أريده، ولو بعد ألف سنة.

كاتب الوحي ومحل الوحي

إن البعض كاتب وحي، والبعض الآخر محل للوحي. فاجتهد في أن تكون كليهما، وأن تكون محل الوحي، وكاتب الوحي.

معنى الحروف

إنني لا أستطيع وصفه، إنه لم يظهر قبل حرفي الألف والنون. وقد انبعث شعاع من الألف، في ذلك الوقت الذي لم توجد فيه الواو والقاف والتاء.

من دخله كان آمناً

لماذا تبقى محروماً؟ ولماذا وقعت على الأرض؟ ألا يكون تأويل ذلك: أن تطرح نفسك هنا؟ ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾^(١١٢).

اتهام كاذب

كيف كان شرف اللهاوري قد أنكر ذلك؟ وكان يجادلني هنا، ويقول:

(١١٢) ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾. سورة آل عمران، جزء من الآية ٩٧.

أَقْبَلَ عَيْنِكَ. وفي ذلك الوقت الذي كان فيه شاهداً، لم يكن يُقَبِّلُنِي قبلة واحدة. ولست أنا ذلك الذي كان اللوطي الصرف يتحدث عنه قائلاً: أظن أن تلك الشعرة قد خرجت من عينه. إنني لا أدرك هذا، فماذا أفعل؟ إن العين في مكان العين، والشعر في مكان الشعر!

إنهم سموا لوطاً بذلك الاسم، ولم يكن لوطياً صرفاً، بل كان نبياً. نحن كنا نتحدث بأسرار الأولياء، ولم يكن هذا كافياً. من ثم بدأنا بأولئك الأنبياء.

قال: إن إبرة كانت تعوق طريق عيسى. وما أعجب الافتراء على الأنبياء!

كنتُ أرى وجهك، وأكرهك. ومن ثم شاء الله تعالى، فأحببتك. ولم تكن تلك الكراهية بسبب العدا، لكن بسبب اختلاط هذا القلندر بالملندر.

لستُ طريلاً

دعاني بالطريل^(١١٣)، فخرجتُ بسرعة. أهكذا يقولون للعارف؟!

(١١٣) الطريل: أصل هذه الكلمة غير معروف. وقد وردت في المعاجم التركية بمعنى الخسيس. وقد نُقِلَ في النسخة الثانية في متحف قونية عن مولانا: «المقصود من الطريل الذي تكره مجالسته، وتأنف منه بحقارته في أعين الناس». ويبدو من كلام شمس أن كلمة طريل كانت سباً (شتيمة) في بعض مدن آسيا الصغرى مثل أخلط. يقول الأخلاطيون: أيها الطريل، اذهب حتى لا تُسَبِّك. انظر: شمس الدين محمد تبريزي، مقالات شمس تبريزي، تصحيح وتعليق محمد علي موحد، ص ٥٢١.

قلتُ: لو أصفعه على قفاه، ينصرف عن الصلاة، ولو أضربه بالنعال،
ينصرف عن الصلاة. فخرجتُ.

يقول ذلك الشبيه بالمرأة الزانية الحقيرة القحبة: إنني جعلتُ نفسي
أعمى وأصم. أيُّ أعمى، وأيُّ أصم؟ ماذا يحدث؟ لقد غيّر الكلام.

ها هو يسبني، وقد قال: إذا أمسكتُ بمئزرك، أطحتُ بك. وقد بقيتُ
وقتًا، حتى أرى كيف يمسك بمئزري، ويطيح بي. إنه لا يتخلى عن طبع
النساء هذا. وإلا فما شأنه بالنساء؟ وماذا يفعل بين النساء؟

قال: لم يشكُّ أحد منه، أو يتهمه بالخيانة. قال: هذا رأي الكفار
جميعهم والتتار، وهم يستدلون بأن شخصًا شكّا أو لم يشكُّ، ألا يكون
للمؤمن الذي التحق بخدمتهم شيء آخر من وراء هذا؟ ولم يكن هذا
رأيهم.

ربما بُسِطت سفرة في منزلي، ووُضع عليها دن الشراب وعناقيد
العنب، ومائة صنف في كل ناحية، وكل شيء، فمن يتناولها؟

العسل اللذيذ

إن هذا العسل لذيذ. ولم تطلب أنت مني أن أحكي لك حكاية.
كان يبعثر لحيته قائلاً: إنني فارغ من أمر مولانا، لكنه كان يحترق بسبب
العشق. وينبغي عليه الذهاب إلى رجل مكث في المنزل أربعين يومًا،
حتى يرى خيالًا. هل يكون إنسانًا؟ أو يطلقون عليه إنسانًا؟

ما علاقة دين محمد بذلك؟ هؤلاء القوم الذين يدعون المعرفة، أي معرفة تلك التي تكون معرفة في زعمهم؟ إما أنهم صاروا نصارى، أو أصبحوا يهودًا. النصراني الكافر، ليس ذلك النصراني الذي عاش في عهد عيسى، ومات في عهده. واليهودي الكافر، ليس ذلك اليهودي الذي مات في عهد موسى.

هل استغفرت؟

ما أطيب الوقت الذي لا يغلبك فيه النوم، فأتحدث إليك، أو أسألك أن تكتب حتى يغلبك النوم! لقد كنتُ أتحدث إليهم، وكنت أنت مقصودي. فما شأني بهم؟ وما قلته سوف أتحلل منه بعد ذلك.

في البداية مازحته قائلاً: لماذا لا تقرأ الصحف؟ فاعتذر كالأطفال. قلتُ: إن تدارك ذلك الأمر ليس سهلاً. نُعَيِّن شخصاً يعتني به. لكنك قلتُ: إنه طمع في مكانتنا كثيراً، وكان يغتابنا من دون هودة. لكنه لا يطمع في ذلك. فهل استغفرت؟ إن لك في كل يوم استغفاراً.

ينبغي شراء جحش. تلك هي الحكاية نفسها التي حكاها أخو ذلك اللوطي، وقد قال أخوه ذلك الذي امتلك جحشاً: إن قدمي عليلة، وهم يأخذون جحشي من أجل حمل الأحمال.

صلاة التراويح

أرأيت نفاق عماد الواضح؟ لقد قصدتُ أميرداد بهذه الدعوة. وأرسل هو ذلك الصوفي، ولم يقل: استدع شمس الدين أيضاً.

وقد رأيتُ ذلك الشيخ البارحة في الطريق، وقَبَلْتُ لحيته، وقلتُ: لقد كنتُ محبًّا، لكنني أثرتُ ألاَّ أظهر المحبة. ولا ينبغي أن أكون مقصرًا، فتنقص المحبة. لكنك لا تملك ذلك ظاهرًا أو باطنًا. قال: إنني ظلمتُ أردد الذكر حتى صلاة الظهر.

فلتُقَبِّل أميرداد أيضًا. وخذ بقراتك التسع، وسوف أدخل أنا بيت الأحران. هكذا أنا مثل كف اليد. لو يعرف شخص طبعي، يطمئن إليَّ ظاهرًا وباطنًا.

كان الجميع يذهبون إلى الأكارعِي، وأحسنْتَ أنا الظن بك، فأنعم عليَّ. قال: بلى، إنك تصحبنِي، وتزاحمنِي، إنك أحمق. قلتُ: بلى، لقد كُنْتُ الحمقى. إنك تزاحمنِي، وتطرحنِي في الوحل، فأزاحمك، وألقي بك في دكان، وقد قلتُ هذا كله بسبب الفراغ، وحتى لا تشعر بالملل. لكنني إذا أكلت كثيرًا، لا أستطيع أداء صلاة التراويح. وفي الليلة الماضية أكلتُ القدر نفسه، وأديت صلاة التراويح، لكن قدمي ألمتني. وأديت بعض الركعات جالسًا، ولو أن الانشغال بهذا الشطرنج كافٍ لمن ينشغل بالطعام وغيره.

كل من يذهب إلى الحمام غدًا، ويغتسل، تُعْفَر له ذنوب عام. قال: حسنًا، سأذهب إلى الحمام غدًا. قال: خذ هذا معك!

وا شوقاه إلى لقاء إخواني^(١١٤). قالوا: يا رسول الله، هل نحن هؤلاء الإخوان الذين تشاق إليهم؟ قال: لا، إنكم أصحابي. قالوا: هل إخوانك هم الأنبياء الذين رحلوا؟ قال: لا، إنهم قوم سوف يأتون بعدي.

إنهم يسألون النائم، وقد استغرق في النوم. مثلما يستغرق أحدهم في نوم عميق، ويقول كلمة، ثم يستغرق في النوم. ويقول عكس ذلك الكلام في اليقظة. فكيف يؤخذ عليه ذلك الكلام المعكوس في اليقظة، ولا يؤخذ عليه الكلام الآخر؟ إنه ضعف القابلية.

حلال المشكلات

إذا بقي أهل الربع المسكون في ناحية، وبقيت أنا في ناحية، أحل أي مشكلة تعترضهم. ولا أتبرأ من القول أبداً، ولا أبدل الكلام، ولا أففز من غصن إلى آخر.

مريدي ومرادي

كان زين الطوسي يلتحق بخدمة الشيخ عشرة أيام أو خمسة عشر

(١١٤) **وا شوقاً إلى لقاء إخواني**؛ إشارة إلى الحديث: قال رسول الله ﷺ: **وا شوقاه إلى لقاء إخواني**. قالوا: أو لسنا بإخوانك؟ قال: بل أنتم أصحابي. وإنما إخواني الذين لم يأتوا بعد.

نجم الدين أبي بكر عبد الله بن محمد بن شاهاور الرازي الأسدي: منارات السائرين إلى حضرة الله جل جلاله ومقامات الطائرين، تحقيق د. عاصم إبراهيم الكيالي الحسيني الشاذلي الدرقاوي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص ٢٠٠.

يومًا. وكان يسأله عن أشياء في الخلوة. لكن الشيخ أبعدته في النهاية، وأرشدته إلى طريق آخر.

كنت أقول لأحدهم ذات يوم: إن زين الطوسي كان مريدي، وكان يفقد الصواب، فكنتُ أزيد عليه. كيف أطأطئ رأسي أمام مثل هؤلاء المريدين؟ وهذه هي الحقيقة. وكيف أقبل إرادة مثله، والله مريدي؟ والمريد أحد أسمائه، وأنا المراد، لأن لكل مريد مرادًا.

الله مراد لي والله مريدي

فرقت على الله عتيقي وجديدي

ينبغي عليّ أن أحدثهم بهذه العلوم الظاهرة وبالعربية: إنني أتحسر على حديثي بعلمي هذا لهم. فمن يستطيع أن يشغلهم بهذا العلم؟ ولا يجب إشغالهم بالشيء الذي لا يعبرونه اهتمامًا.

سبحان الله!

﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾^(١١٥). نحن لا نملك شيئًا. كل شيء ملكه. هذان القولان مترادفان.

لا يقول الحق أبدًا: أنا الحق. ولا يقول الحق أبدًا: سبحاني. إن سبحاني لفظ تعجب! كيف يتعجب الحق من شيء؟ ولو يقول العبد: سبحان الله، فهو لفظ تعجب، ويكون القول صحيحًا.

(١١٥) ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾. سورة الأحزاب، جزء من الآية ٤.

الربع المسكون

ذلك الربع المسكون هو الذي يسكنه الخلق. وتلتهب الثلاثة أرباع الأخرى بلهب الشمس، فلا يستطيع الخلق السكن فيها.

كل مشكلة يسألني عنها أهل هذا الربع المسكون، يجدون إجابتي عنها حاضرة. وإن لهم في كل شيء مشكلة، فيكون كلامي إجابة تعقبها إجابة، وكتابًا يعقبه كتاب، وشرحًا يعقبه شرح. أجيب عن كل سؤال عشر إجابات لا تُذكر في أي كتاب بذلك اللطف وتلك الملاحظة.

مثلما يقول مولانا: منذ عرفتك، أصبحت هذه الكتب بلا معنى في نظري.

ظل العرش

سبعة أقوام هم الذين يستظلون بظل العرش يوم القيامة حين يضطرب الخلق جميعًا ويفزعون من كثرة الأهوال التي يشاهدونها، ويبقى قوم تحت الشمس. وهم مُلْجَمُونَ بالعرق^(١١٦).

(١١٦) مُلْجَمُونَ بالعرق: إشارة إلى الحديث: يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعًا، ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم.
الراوي: أبو هريرة. المحدث: البخاري.
المصدر: صحيح البخاري. خلاصة حكم المحدث: صحيح.
التخريج: أخرجه البخاري واللفظ له، ومسلم.
الدرر السنية، الموسوعة الحديثية. dorar.net.

إخماد النار

يسلم هؤلاء الأقوام السبعة من هذا كله. هناك قوم كاذبون من تلك الأقوام السبعة^(١١٧). ذلك الكاذب الذي يأتيك قائلاً: كنتُ عند فلان في هذه الساعة، وأنا قادم من عنده، وقد خجل منك بشدة، وكان يقول بسبب الخجل: سبحان الله، كيف تناولتُ على فلان، وفقدتُ الصواب؟ ضاع العقل مني، وأنا جاهل بما فعلت، ونادم عليه، وعلى ما يترتب عليه. ثم يتوجه من عنده إلى ذلك الخصم الآخر، ويقول أضعاف ما قاله، حتى يُخمد النار، فلا تحرق الناس.

إن إخماد النار ذلك مبارك سواء بالكذب أو بالصدق. وتُخمد النار بالبول أو بالماء العفن أو بالماء الطاهر. هؤلاء القوم يفعلون العكس، ويكذبون، حتى يشعلوا الفتنة، أين كان هؤلاء القوم يدركوننا؟ وما شأنهم بنا؟ إذا لم يتوسط لهم مولانا!

ينبغي عليّ أن أرى مائة عين عدو، لكي أرى عيناً لحبيب. وإنني أراها لا جرم. جعلتُ خيالك أمامي البارحة، وكنت أتناظر معه قائلاً: لماذا لا تجيب عليّ إجابات واضحة محددة؟ قال خيالك: إنني أخجل منه، ولا

(١١٧) إشارة إلى الحديث: أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فينمي خيراً، أو يقول خيراً.
الراوي: أم كلثوم بنت عقبة. المحدث: البخاري.
المصدر: صحيح البخاري.
خلاصة حكم المحدث: صحيح.
الدرر السننية: الموسوعة الحديثية. dorar.net.

أريد إيذاءه. وكنتُ أجيب. وقد طالت المناظرة. فأني شيء بقي لم نتحدث فيه؟ لا، بل أي شيء كان، تحدثنا عنه إنما لم نقل شيئاً، يعني قلنا كل شيء بالنسبة إلى أقوال الناقصين، ولم نقل شيئاً يتعلق بأقوالنا نحن.

الشرط هو الإخلاص

قال رسول الله ﷺ: من أخلص لله تعالى أربعين صباحاً، ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه^(١١٨). وكان يشرح معناها لأصحابه.

انشغل أحد الأصحاب بنفسه أربعين يوماً في أثناء العبادة، بعد ذلك شكا للمصطفى قائلاً: يا رسول الله، كان حال قد اعتري الصحابي فلان، فتغير رأيه وقوله. وكنت تقول في بيان حاله: «من أخلص لله». فذهبتُ، وارتضتُ أربعين يوماً على قدر استطاعتي. ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(١١٩). ولم يختلف كلامك.

أجاب الرسول ﷺ: إنني قلتُ: من أخلص، والشرط هو الإخلاص، وأن يخلص لله، لا لهوس آخر أو غرض آخر. وقد تعبدت أنت طمعاً في أن يصدر عنك كلام عجيب مثل فلان، وتمنيت ذلك.

(١١٨) ورد هذا الحديث على النحو الآتي: من أخلص لله أربعين يوماً، ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه.

الراوي: أبو أيوب الأنصاري. المحدث: السيوطي.

المصدر: الجامع الصغير.

خلاصة حكم المحدث: ضعيف.

الدرر السننية، الموسوعة الحديثية. dorar.net.

(١١٩) ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾. سورة البقرة، جزء من الآية ٢٨٦.

المحظوظون

قلتُ لجماعة المؤمنين: إن الله تعالى خلقكم سعداء حتى يذعن لكم مثل هؤلاء الناس، وأنتم تعلمون قدر خدمتهم.

ذلك الذي خُلِق مُقْبَلًا، يغيب قمر من أمامه، فيسطع قمر بداخله.

سأضع قاعدة في طريق العشق

حتى لا يسلك الجهلاء هذا الطريق

طعام الجاهل

إن صحبة الجهلاء مضرّة للغاية، وهي حرام. صحبة الجاهل حرام وطعامه حرام. الطعام الحرام هو طعام الجاهل، إنه لا يسقط في حلقي. لَمَّا أَتَنَاول طعامه فكأنما حجر المنجنيق يصطدم بيت صانع الزجاج الذي يمتلئ بالزجاج حتى سقفه وبالقوارير والأقداح. كل ذنب لك مغفور سوى الإعراض عني.

الطويل والقصير

قل أولاً: ما الألف؟ عندئذ أقول: باء. أيطول ذلك؟ من ثم ما دام الطويل والقصير سواء بالنسبة إلينا، فسواء لدينا أن نصبح طويلاً أو قصاراً. إن القصر والطول صفة الجسم، وصفة هذا المُحَدَّث. ونشأ عنها الأول والآخر، ولم يكن هناك أول أو آخر من دونها ولا ظاهر أو باطن.

دعوة إلى السفر

مصراع

أيها القوم، اعبروا دار الحوادث هذه^(١٢٠)

ليس هذا كلامًا، إنه تنبيه، ودعوة إلى الكلام، ودعوة إلى ذلك العالم. إنه يقول: هناك عالم آخر، سافروا إليه. لقد انشغلت بهذه الصلاة، وانقضت الصلاة. وانشغلت بهذا المقصود، وتحقق. أيُّ ابتهاج لي بمحبتك وقد وهبني الله مثل هذه المحبة؟ فليمنحها قلبي لك. ذلك العالم وهذا العالم سواء بالنسبة إليّ، وقعر الأرض وأوج السماء سواء بالنسبة إليّ، والرفيع والوضيع سواء بالنسبة إليّ.

لقاء الحق

قال رسول الله ﷺ: لا تفضلوني على يونس بن متى^(١٢١). وقد كان

(١٢٠) مصراع من بيت السنائي الغزنوي م ٥٣٥ هـ الآتي:

أي قوم ازين سراي حوادث گذر كنيد

خيريد وسوی عالم علوی سفر كنيد

وترجمته:

أيها القوم، اعبروا دار الحوادث هذه

وانهضوا، وسافروا إلى العالم العلوي

انظر: شمس الدين محمد تبريزي، مقالات شمس تبريزي، تصحيح محمد علي

موحد، ص ٥٠١.

(١٢١) «لا تفضلوني على يونس بن متى». ورد هذا القول في كتاب اللمع لأبي نصر السراج

الطوسي، حققه وقدم له وخرج أحاديثه د. عبد الحليم محمود، د. طه عبد الباقي سرور،

دار الكتب الحديثة بمصر، مكتبة المشني ببغداد، ١٣٨٠-١٩٦٠، ص ١٣٧.

له معراج في قعر البحر وبطن الحوت، وكان لي معراج فوق السماوات السبع. انتبهوا، ولا تفضلوني عليه. إن لقاء الحق يكتمل في مكان، وينقص في مكان، ولقاء الحق يتبع المكان.

نعومة الحرير

﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾^(١٢٢). وقد ارتديت الحرير هنا أيضًا، ألا ترى لطافة الحرير؟ لقد صار هذا الجلد اللطيف حريرًا، إن جلدي حرير، ما علاقة الحرير بنعومة هذا الجلد؟ شتان بين هذا وذاك^(١٢٣)!

أكملت لكم دينكم

أكملت لكم دينكم^(١٢٤). وقوله: إن الأرواح قد اكتملت في أجسادكم^(١٢٥).

(١٢٢) ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾. سورة فاطر، جزء من الآية ٣٣.
(١٢٣) روى أنس بن مالك حديثًا متعلقًا بهذا الأمر فحواه: خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي أف قط، وما قال لي لشيء صنعته: لِمَ صنعته، ولا لشيء تركته: لِمَ تركته، وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقًا، ولا مسست خزًا ولا حريرًا ولا شيئًا كان ألين من كف رسول الله، ولا شممت مسكًا قط ولا عطرًا كان أطيب من عرق النبي. الراوي: أنس بن مالك. المحدث: الألباني.

المصدر: مختصر الشمائل. خلاصة حكم المحدث: صحيح.
التخريج: أخرجه البخاري ومسلم. الموسوعة الحديثية، الدرر السنية dorar.net.
(١٢٤) أكملت لكم دينكم. سورة المائدة، جزء من الآية ٣.

(١٢٥) مصرع من بيت السنائي الغزنوي الآتي:
جان كمال يافته در قالب شما
وأنگه شما حديث تن مختصر كنيد

=

وترجمته:

يجب أن تبقى شجاعاً جسوراً

وإلا ينبغي عليك أن تشعر بالخزي

هل تحبني؟

إذا عرفتني أدركتني، فلماذا تذكر الكدر؟ لو أن السعادة في يدي،
فكيف تشعر بالحزن؟ لو أنك معي، فكيف تكون مع نفسك؟ لو أنك
تحبني، فكيف تحب نفسك؟ تمر سنوات حتى يفرغ من أمر العشق مَنْ
وقع فيه على حين غرة.

يجب أن تمر سنوات حتى يصير حجر أصلي بفعل الشمس

ياقوتاً في بدخشان أو عقيقاً في اليمن

يجب أن تمر شهور حتى تصبح بذرة قطن تحت التراب

سترًا لامرأة أو كفنًا لشهيد

اللوت غير كاف!

كان هناك سبعة صوفية، قضوا معًا عدة أيام، واحتاجوا إلى الطعام.
ولم يريدوا أن يتفرقوا طلبًا للطعام بسبب متعة لقاء بعضهم بعضًا.
علم سيد بحالهم، فجاء من بعيد، وتواضع لهم، وقال: ماذا تريدون؟

لقد اكتملت الأرواح في أجسادكم

=

وعندئذ تختصرون الحديث عن الجسد

انظر: شمس الدين محمد تبريزي، مقالات شمس تبريزي، تصحيح محمد علي

موحد، ص ٥٠٣.

فقال له أحدهم: اذهب، وأعد لوتًا (طعامًا لذيذًا) كافيًا وفيرًا من دون بخل، واجعل الدار خاليًا من الصغير والكبير ومنك أنت أيضًا، فلا يطرق أي شخص الباب. ففعل كذلك.

قال السيد: إن هؤلاء سبعة أشخاص، فلأعد لوتًا يكفي عشرين رجلًا على سبيل الاحتياط، وأرسل العيال جميعًا إلى بيوت الأقارب، وأوصى بالآلا يقترب أحد اليوم من الدار. وملأ الأواني، وصف الخبز، وأدخلهم، وأجلسهم، وقال: أدت المهمة، ولتفرغوا من أمري، فلن أظهر حتى الليل.

رَزَّ السيد الباب، وأغلقه. وهكذا بدا أنه مضى. ثم اعتلى مكانًا مرتفعًا، وكان ينظر من ثقب خفي، ليرى كيف يأكلون.

كان الصوفية يقدمون الأواني واحدًا تلو الآخر، ويأكلون منها. ولما كان إناء يفرغ، كانوا يقدمون الإناء الآخر.

فجأة أصيب أحدهم بانتفاخ، وسقط، وانتقل إلى ﴿مَقْعِدِ صِدْقٍ﴾^(١٢٦). وكلُّ يرجع إلى أصله. وسمع نداء ﴿أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾^(١٢٧). ولقد كان هو نفسه في مقعد صدق سواء هنا أو هناك، وكانت أستار الفراش تلك قد أسدلت، فكانوا يشاهدوه من خلالها.

انهمك أولئك الصوفية الستة في تناول الطعام، ومر وقت، فشعر آخر بانتفاخ، وسقط. وهكذا حتى بقي الصوفي السابع فحسب. لم يصبر

(١٢٦) ﴿مَقْعِدِ صِدْقٍ﴾. سورة القمر، جزء من الآية ٥٥.

(١٢٧) ﴿أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾. سورة الفجر، جزء من الآية ٢٨.

رب البيت، فنزل، وفتح الباب. وعلى هذا النحو اتضح أنه كان يأتي من الخارج، ودخل، وقال: أيها الشيخ، ماذا حدث؟ هل كان الطعام كافيًا كما أوصيت أم لا؟ قال: لا. قال: كيف؟ قال: إذا كان كافيًا، لما بقيت أنا على قيد الحياة، وما دامت لحظة قد بقيت لي، فإنه ليس كافيًا.

إن الجواب المشبع المستوفي هو الذي لا يترك مجالًا لسؤال أو جواب، وما دامت الرغبة في السؤال والجواب باقية، فإنه ليس مستوفيًا. وما دام الرجل يستحسن كلامًا آخر وجوابًا آخر، فإن هذا دليل على أن شكًا ساوره، ويحتاج إلى جواب.

اكتهم سرّك

كان الشيخ حميد يفسر معنى الكفر والإيمان اليوم. وكنت أنظر إليه، وأدرك أنه لن يفهم معنى الإيمان أو الكفر ولو بعد مائة عام أخرى. وإذا كان يعرف معناها، لكانت الحكمة والأدب تقتضي أن يستتر في حضور الدرويش.

إنك قلت: لقد أدركتُ كلامي، ولم يدع لي كلامي هذا مجالًا حتى أدرك ذلك الكلام الآخر. ويجوز أن يكون أفضل منه وأبلغ. مثلما يقول صوفي: إذا وجدتُ شخصًا آخر أفضل منك، تحررت أنت، وتحررتُ أنا منك، وإلا فإنك أسيري. ويخفي الخبز في كُمّه. استر ذهابك وذهبك ومذهبك (١٢٨).

(١٢٨) استر ذهابك وذهبك ومذهبك. قول منسوب للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن محمد المشهور بابن الجوزي م٥٩٧هـ.

مثلما يقول الرسول ﷺ: من كتم سره ملك أمره^(١٢٩). بلى يكون عبداً، لماذا أتحدث سرّاً؟ يرد عن مولانا شمس الدين التبريزي أعلى الله ذكره أنه يقول: من أظهر سره ملك أمره، لكن أين ذلك العبد؟
كم تؤذين أيتها الحسناء من لا تدري كينه!

العقل حجة الله

تُفضّل مجموعة من الفلاسفة الملائكة على الأنبياء، ويقللون من شأن المصطفى والأنبياء، لأنهم انشغلوا بالخلق. ويقولون: إن الملائكة غاروا من الأنبياء، ووجهوا اهتمامهم إلى الدنيا، وأغروهم بنصيحة الخلق، لأن هذا ليس ابتعاداً عن الحق، وليس احتجاجاً عنه.
لكنهم يقولون عن معجزات الأنبياء: نقبل ما هو معقول منها، ولا نقبل ما هو غير معقول. العقل حجة الله، وحجج الله لا تتناقض.
نقول: إن المعجزة ذاتها تلك التي لا يستطيع عقلك إدراك كيفيتها.

(١٢٩) من كتم سره ملك أمره.

يروى أن معاوية رضي الله عنه أسرَّ إلى الوليد بن عتبة حديثه. فقال لأبيه: يا أبت، إن أمير المؤمنين أسرَّ إليّ حديثاً، وما أراه يطوي عنك ما بسطه إلى غيرك. قال: فلا تحدثني به، فإن من كتم سره كان الخيار إليه، ومن أفشاه كان الخيار عليه. قال: فقلت: يا أبت، وإن هذا ليدخل بين الرجل وبين ابنه؟ فقال: لا والله يا بني، ولكن أحب ألا تذلل لسانك بأحاديث السر. قال: فأتيت معاوية فأخبرته. فقال: يا وليد، أعتقك أبوك من رق الخطأ، إفشاء السر خيانة، وهو حرام إذا كان فيه إضرار؛ ولؤم إن لم يكن فيه إضرار.

الدرر السنية، موسوعة الأخلاق، أقوال السلف والعلماء في إفشاء السر. dorar.

.net

المعجزة ما يعجز العقل عن إدراكها. والعقل حجة الله، ولكن حين لا تستخدمه الاستخدام الأمثل، يظهر التناقض. ولهذا السبب هناك اثنتان وسبعون أمة مختلفة العقول ومتناقضة المشارب.

مثلاً تسأل شخصين عن حاصل ضرب 2×2 ، فيجيب كلاهما إجابة واحدة من دون اختلاف، لأن التفكير في تلك المسألة سهل. وحين تسأل عن حاصل ضرب 7×7 أو 17×17 ، تختلف إجابة العاقلين، لأن التفكير في تلك المسألة أصعب.

حين يتكاسل المرء، ولا يستخدم العقل، فكأنه يملك مرآة معوجة. وإلا، فإنك حين تملك مائة ألف مرآة مستقيمة، يقولون قولاً واحداً. ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾ (١٣٠)!

شعر

الأنوار كلها يصحب بعضها بعضاً

على سبيل المثال لقد وقف مائة شخص أصحاب عيون مبصرة في وضوح النهار. فيأتي شخص من بعيد نحوهم بمفرده، ويضرب الطبل، ويرقص، فلا يقع خلاف بينهم. لكن إذا انبعث صوت الطبل هذا في الليل الحالك والغيم، يقع بينهم مائة خلاف، فيقول أحدهم: إنه جيش، ويقول آخر: إنه احتفال، إلى آخره.

(١٣٠) ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾. سورة المائدة، جزء من الآية ٤٨.

الخلاصة، يأخذ الفلاسفة على الأنبياء أنهم انشغلوا بالخلق، وأن حب الجاه والنبوة قطع عليهم الطريق، لكنهم لم يضلوا تمامًا، وعجزوا عن طي درجات التجريد والخلوة. ويقولون أيضًا: إن زواج الأنبياء نقصان ورجس.

ينابيع الحكمة

المتكلم الذي يتحمس للكلام تظهر ينابيع الحكمة في صدره في كل لحظة، وما دام لا يحل في مجمع، لا يتحمس فيه مقرر أو واعظ، لا يتيسر له قول أو حماس، ولا يكون هذا المتكلم فارغًا في أي لحظة، ولا ينجز أي عمل بسبب غلبات الإلهام المتجددة. ويعتريه الحال نائمًا أو جالسًا أو في المرحاض. يقولون: لا ينبغي ذكر الله في بيت الخلاء.

من ثم لا ينزل الملك من فوق هذا الجواد، لا خارج الحظيرة ولا داخلها، لا في وقت تناول العلف ولا في وقت الإبعاد.

هأنذا قد صادفت شيئًا في هذه اللحظة، وإذا كان هناك شيء آخر، كان يمزق لباس الوجود. إنني تركت الأمر، وطأطأت رأسي برهة.

الموجود الحقيقي

الفتيان يحبون الله، وقد تصدع جبل الطور بتأثير الفتوة.

من ثم ذلك الموجود الذي يستمد هذا العالم وجوده منه، ويستمد كل شيء موجود وجوده منه. وكل لطيف تراه وتعلمه، يستمد وجوده منه، ويوجد به، وكل لطيف تراه وتدركه، ذلك اللطيف -الذي يستمد هذا اللطيف وجوده منه، ويوجد به- لا يوجد أفضل منه ولا ألطف منه.

اذكر الله

قالوا: أعطنا دليلاً نعرف من خلاله بمن تكون عنايتك أكثر ورحمتك أوسع.
قال: كل من يزداد ذكره لله. فالذكر^(١٣١) ذكران، ذكر اللسان وذكر القلب.

التنزه في القبور

كان أبو يزيد البسطامي قدس الله روحه يذهب إلى المقابر في كل مدينة يحل بها، لما كان يريد التسلي.

كما أن أحدهم سأل ابن عباس رضي الله عنه قائلاً: يا ابن عم رسول الله، أين أذهب حين أرغب في التَّسْلِي؟ فقال: تنزه في القبور إن كان الوقت نهاراً، وإن كان ليلاً فتفرج على السماء.

(١٣١) الذكر: الذكر هو الخروج من ميدان الغفلة إلى فضاء المشاهدة على غلبة الخوف أو لكثرة الحب. وحقيقة الذكر أن تنسى ما سوى المذكور في الذكر. ويعد الذكر أفضل الأعمال، فقد سئل رسول الله ﷺ: أي الأعمال أفضل؟ قال: أن تموت ولسانك رطب بذكر الله تعالى. والذكر ثلاثة أصناف، الأول: ذكر القلب، وهو أن يكون المذكور غير مُنسى فيذكر، والثاني: ذكر أوصاف المذكور، والثالث: شهود المذكور يُغني عن الذكر؛ أن أوصاف المذكور تغنيك عن أوصافك، فتُغني عن الذكر. وذكر اللسان نحو قوله تعالى: ﴿فاذكروا الله كذا كذاكم أو أشد ذكراً﴾. وذكر القلب نحو قوله تعالى: ﴿ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم﴾.

انظر: د. أنور فؤاد أبو خزام: معجم المصطلحات الصوفية، ص ٨٥، ٨٦.
د. رفيق العجم: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. تحقيق د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية د. جورج زيناتي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، الجزء الأول ١ - ش، ص ٨٢٥، ٨٢٦.

كان أبو يزيد يتسلى في المقابر، فوجد حمام رؤوس الناس، فألهم بأن يمسكها، ويمعن النظر فيها. فوجد بعض آذان الحمام مسدودة، من دون ثقب. ووجد لبعض الآذان شقاً يمتد من أذن حتى الأذن الأخرى، ورأى لبعض الآذان شقاً يمتد إلى الحلق.

قال: إلهي، يرى الخلق هؤلاء جميعاً سواء، لكن الأمر كان يبدو لي مختلفاً. من ثم لماذا تتصف تلك الآذان بتلك الصفات؟ فأوحى إليه بأن تلك الحمام التي لا توجد في آذانها أي ثقب، لم يكن أصحابها يسمعون كلامنا قط. وتلك التي كان الشق يمتد فيها من هذه الأذن إلى تلك كان أصحابها يُدخلون الكلام من هذه الأذن، ويُخرجونه من تلك الأذن الأخرى. وتلك التي كان الشق يمتد فيها من الأذن إلى الحلق، كان أصحابها يُصدّقون كلامنا.

موت العارف

ربما أراد عارف موت شخص؛ وهو يريد بذلك أن يكون هذا الشخص بلا غرض دنيوي أو شهوة. وهذا يخالف الموت الجسماني.

قدر الدرويش

قال: إنك لم تذهب لعيادة ذلك الدرويش. ألم تسمع مرضت فلم تعديني^(١٣٢)؟ قال: تعزّزتُ. قال: إن الرسول ﷺ مع كل هذه العزة كان

(١٣٢) مرضت فلم تعديني. إشارة إلى الحديث:

يقول الله جل وعلا للعبد يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعديني، فيقول: يا رب، كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ فيقول: أما علمت أن عبدي فلاناً مرض =

يتبرك بالسلام على الدراويش، وكان يجلس معهم على الأرض، ويستمع إلى كلامهم.

إنهم لم يعرفوا قدر الدراويش، وتعللوا قائلين: إذا لم نؤذِهِ، لكانت الفتنة تقع، وأخرجوا صالِحًا بريئًا من أجل فاسق حتى لا يُفتضح. لا جرم أنني صرت نقي السيرة حسن السمعة. لقد تخلى عن أصله، واستهان به من أجل إعزاز فرع لن يصبح عزيزًا أبدًا.

يرى كبش أن رأسه يساوي فلسين، ولا يرى إلهته وقد تدلّت خلفه، ذلك هو الأصل.

السعادة والحرز

إنهم يتخلون عن السعادة، ويقبلون على الحرز. هذا الوجود الذي تنبهر به، كله غم. هل أنت مغتم في هذه الساعة؟ قال: لا. قال: نحن نريد حرز هذا الذي لا يكون مسرورًا، ولا يتكبر. فهذا هو الحرز.

= فلم تعده؟ أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ ويقول: يا ابن آدم استسقيتك فلم تسقني، فيقول: يا رب، كيف أسقيك وأنت رب العالمين؟ فيقول: أما علمت أن عبدي فلانًا استسقاك فلم تسقه؟ أما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندي؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، فيقول: يا رب وكيف أطعمك وأنت رب العالمين؟ فيقول: ألم تعلم أن عبدي فلانًا استطعمتك، فلم تطعمه، أما لو أنك أطعمته، لوجدت ذلك عندي.

الراوي: أبو هريرة.

المحدث: شعيب الأرنؤوط. المصدر: تخريج صحيح ابن حبان.

خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح.

الدرر السنية، الموسوعة الحديثية. dorar.net.

السعادة مثل ماء زلال صافٍ، حيثما يجري، تنمو البراعم العجيبة في الحال. ﴿مِنَ الْمَاءِ كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ (١٣٣). ذلك الماء الذي تتدفق به الأنهار، وتصبح سائغة عذبة صافية. إن الحزن مثل سيل شؤم حيثما يحل يُتلف البراعم، ولا يترك برعمة تنمو.

عُدْ إِلَى اللَّهِ!

لا إله إلا الله، من يطبق ذلك الشيء الذي يعلمه الإنسان؟ ماذا يدرك الإنسان؟ إنه يتحدث عن ضرورة الجديلة ويتكلم عن الخال، وهذا تشبيه؛ وإلا فأين الجديلة وأين الخال؟

إذا قبضت على جديلتك في الجحيم
أُعَيَّبُ حال أهل الجنة

ماذا تفعل الجديلة في الجحيم؟

ينبغي أن يعود إلى الله، وأن يمعن النظر، وينصت، ويتنبه إلى العارفين، ويجتنب الأنانية، فطاعة الله هي أن تجتنب الأنانية. إنه شيخ في الدين، وينبغي عليه ترك الحرام.

طاب وقتك

كان هناك أبله، وكان يتحدث بالغيبيات. وقد أنزلوه منزلاً على سبيل الامتحان، فكانوا يجدونه خارجه.

(١٣٣) ﴿مِنَ الْمَاءِ كُلِّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾. سورة الأنبياء، جزء من الآية ٣٠.

كان أبي قد أشاح بوجهه عني، وكان يتحدث إلى الناس. فجاء إلى أبي غاضبًا، وجذبه، وقال: إذا لم يكن بسبب ذلك الطفل - وكان يشير إليّ - كنتُ أحملك وألقي بك في هذا النهر. ففاض الماء إلى حد أنه كان يقلب فيلاً. فكان يذهب إلى المَلّاحة. عندئذ التفت إليّ، وقال لي: طاب وقتك. وسلّم، ومضى.

هذا أنا

لم أكن أقامر قط، ولم أكن متكلفًا بالطبع، ولم أكن أشتغل بأي عمل، وكنت أذهب إلى كل مكان يوجد فيه وعظ.

من لدن حكيمٍ عليهم

تجاوز محمد ﷺ في مدة وجيزة ما اكتسبه الأنبياء الآخرون في ألف سنة. ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلَيْهِمُ﴾ (١٣٤). لذلك كانوا قد جعلوه مثل عيسى. ولو أن عيسى قال قولاً في المهد، لكنه لم يتحدث مرة أخرى. وقد كان ذلك من دون إرادة. رمية من غير رام (١٣٥).

(١٣٤) ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلَيْهِمُ﴾. سورة النمل، جزء من الآية ٦.

(١٣٥) إشارة إلى المثل العربي: رب رمية من غير رام.

أي رب رمية مصيبة حصلت من رامٍ مخطئ، لا أن تكون رمية من غير رام، فإن هذا لا يكون أبدًا.

أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري المعروف بالميداني: مجمع الأمثال، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للآستانة الرضوية المقدسة، شهر آذر ١٣٦٦ هـ. ش، الجزء الأول، ص ٣١٠.

لبن الأم

يعرف الحَمَل ذو اليوم الواحد أمه، ويقع على ثديها، لأنه ذاق لبنها في البداية. ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾ (١٣٦) ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ (١٣٧).

لكن من ماتت أمه، يحضرون له كلبًا مرضعًا في المحلة، فيرضع منه، ويتطبع بطبعه.

الطبع الذي رضعته مع اللبن

لا يفارق الجسد إلا مع الروح

يرضع الإنسان اللبن من الثدي، ويمتصه الحيوان من بين الأرجل، هكذا يكون من يمتص اللبن من بين الأرجل. قلتُ: إن أمه قد ماتت. على العكس، لم تمت أمه، بل مات هو. تقول الأم: لبني جفَّ. يقول القاصد قولًا معكوسًا، إن اللبن لم يجفَّ، بل جفَّ قالب اللبن مفتقرًا إلى الاستعداد والقابلية.

الحلال المطلق

الطوير الذي تضعه في مكان مظلم، يصبح في وقته، لأنه عارف بالوقت. وإن مريدنا غذاؤه حلال مطلق.

المراد بكَد اليمين وعرق الجبين هو غذاء الروح. كُل من كد

(١٣٦) ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ﴾. سورة القصص، جزء من الآية ١٢.

(١٣٧) ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾. سورة القصص، جزء من الآية ٧.

يمينك وعرق جبينك. يعني غذاء روحك. كيف يدركون معنى القرآن والأحاديث؟ والقرآن يحجبهم بمائة حجاب - ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ (١٣٨) ما عدا البعض. كيف يكشف جمال القرآن النقاب؟

معنى الاتِّباع

إنني سوف أشرح معنى الاتِّباع، فإنه لا يعلمه، ويقول في نفسه: عجبًا، ماذا يكون هذا الاتِّباع؟ لقد مثَّل الاتِّباع أمامه، وأذعن، وهو لا يراه. إن موسى عليه السلام نبي، وإنني لا أسأل عن الفرق بين النبي والرسول. غير أن أهل الظاهر قالوا: إن الفرق هو أن الرسول من يملك رسالة. وإنني لا أسأل عن الفرق بين الرسل وأولي العزم. وقد اغتر أهل الظاهر بذلك.

إنني أتحدث عن الاتِّباع، وقد اضطرب، وتشتت خاطره. دخل الاتِّباع بيته، وهو لم يعلم. منحه موسى وعاء، وقال له: اذهب، واحضر الماء. لما مضى موسى مع الخضر^(١٣٩)، لم يدرك معنى الاتِّباع. وقد

(١٣٨) ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾. سورة الواقعة، جزء من الآية ٧٩.

(١٣٩) قصة موسى مع الخضر: سئل موسى بن عمران وهو يخطب في بني إسرائيل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا! فأوحى الله إليه بأن في مجمع البحرين من هو أعلم منه. فأخذ حوتًا ومعه فتاه يوشع بن نون، وانطلقا حيث مجمع البحرين. ولما وصلا إلى صخرة، نام موسى، واضطرب الحوت، وسقط في البحر. ولما استيقظ موسى انطلقا هو وفتاه، ونسيا الحوت. ولما أدركا أنهما نسيا الحوت، عادا إلى الصخرة، فوجدا الخضر. فطلب منه موسى أن يعلمه، على ألا يعصي له أمرًا. فأمره الخضر بألا يسأل عن شيء حتى يحدثه به. ثم ركبا سفينة، فقلع الخضر لوحًا من ألواح السفينة. فقال له موسى: تخرق سفينة قوم حملونا بغير أجر! فقال له: إنك لن تستطيع معي صبرًا. ثم خرجا =

عرف محمد الاتباع، ولما رأى ذلك الدرويش، أَمَعن النظر إليه، وفعل ما ينبغي، وقال ما يلزم.

مرآة غير مصقولة

ربما احتملت الجوع، ووجدت الصفاء، وصقلت المرأة. تضعها أمام الرفاق، فيشاهدون أنفسهم. لكنك أحضرت مرآة غير مصقولة ومعتمة، ووضعتها أمام الرفاق، فماذا يحدث؟

القرض الحسن

الوقت لا يسعف. إذا لم أكن أفسر معنى القرض الحسن وكيف يكون حسناً، فكن منصفاً، وقل: أليس هذا الحديث ممنوعاً فوق عرش الكلام؟

الأكل الحلال

قال: إنه يأكل حلالاً. فقلت: إن لها معنيين، أحدهما: المعنى الظاهر، والآخر يعني القليل الميسور أو الطريق الواضح.

= من السفينة، فرأى الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان، فقتله. فقال له موسى: أتقتل نفساً زكية بغير نفس! فقال له: إنك لن تستطيع معي صبراً. ثم ذهباً إلى قرية، رفض أهلها أن يضيفوهما أو يطعموهما. ووجدا فيها جداراً مائلاً، فأقامه الخضر. فقال له موسى: لو شئت لاتخذت عليه أجرًا. فقال له الخضر: هذا فراق بيني وبينك. ثم شرع الخضر في تفسير ما حدث، فقال: إن أصحاب السفينة كانوا مساكين، وإن الملك كان يأخذ كل سفينة غصباً، وإذا استولى عليها، هلك أهلها. أما الغلام فقد كان كافرًا، وكان أبواه مؤمنين، فخاف أن يحملهما حبه على اتباعه. وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين، وكان تحته كنز لهما، فأقام الجدار حتى يكبر الغلامان، ويحصلوا على الكنز. انظر: أبو الفداء إسماعيل بن كثير، قصص الأنبياء، جـ ٢، ص ٤٥٧-٤٦٠.

الشيخ المتجهّم

ما دمت قد ظفرتَ بنفسك، فاسلك مسلّكًا حسنًا. وإذا وجدتَ شخصًا آخر، فامسِكْ برقبته، وإذا لم تجد شخصًا آخر، فأمسِكْ برقبتك مثل صوفي يضع كل يوم طعامًا في كُفِّه، وينظر إليه، ويقول: أيها الطعام، إذا وجدت شيئًا آخر، تركتك، وإذا لم أجد أمسكت بك.

تمسّك بذلك الشيخ الذي تراه متجهّمًا، وفر إليه، حتى تبتهج. فإن تأديبك في كنف ذلك الرجل. والعنب والفاكهة ينموان تحت ذلك الغيم.

هناك رجل طيب، لكن ليس هناك علم. يقول رجل طيب: توكلت، وليس هناك علم ليعلم ما موضع التوكل؟ الاتباع هو أنه قال: اعقلها وتوكل (١٤٠).

يعني ألم يكن الرسول عليه السلام متوكلًا وهو يجاهد كل هذا الجهاد؟ ألم يكن عارفًا؟ ألم يكن عالمًا؟ ألم يكن رجلًا طيبًا؟!

(١٤٠) اعقلها وتوكل. إشارة إلى الحديث:

قال رجل للنبي ﷺ: أرسل ناقتي وأتوكل؟ قال: اعقلها وتوكل.

الراوي: عمرو بن أمية.

المحدث، شعيب الأرنؤوط.

المصدر: تخريج صحيح ابن حبان.

خلاصة حكم المحدث: حديث حسن.

الدرر السنية، الموسوعة الحديثية. dorar.net.

أَقْرَضُوا اللَّهَ

إن درهماً يقع في يد رجل صادق صديق أفضل من مائة درهم تمنحه لهم، لأن ذلك الدرهم ينصرف نحو الخير. ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ﴾^(١٤١). وردت في حقهم.

قال: إن لله يداً، والصدقة تقع في يد الرحمن قبل أن تقع في يد الفقير^(١٤٢). ودرهم يقع في يد ذلك الشخص الذي يقوم على خدمتهم، يكون أفضل كذلك، لأنه ينفقه في هذا الخير، والخير عبد الله، والله خير. يقول: إنه عالم بالكليات لا الجزئيات. ما دام لا يعلم الجزئيات، فإنه لا يعلم الكليات إذن، لأنك حين تمحو جزءاً من الكل، لا يبقى الكل. الرفيق ثم الطريق^(١٤٣)، خاصة هذا الطريق يلزمه رفاق.

(١٤١) ﴿وَأَقْرَضُوا اللَّهَ﴾. سورة الحديد، جزء من الآية ١٨.

(١٤٢) إشارة إلى الحديث: ما نقصت صدقة من مال، وما مد عبد يده بصدقة إلا ألقيت في يد الله قبل أن تقع في يد السائل، ولا فتح باب مسألة له عنها غنى إلا فتح الله له باب فقر.

الراوي: عبد الله بن عباس. المحدث: الألباني.

المصدر: ضعيف الترغيب. خلاصة حكم المحدث: ضعيف.

الدرر السنية، الموسوعة الحديثية. dorar.net.

(١٤٣) الرفيق ثم الطريق. مثل عربي ورد على هذا النحو:

الرفيق قبل الطريق، أي حصّل الرفيق أولاً وأخبره، فربما لم يكن موافقاً، ولا تتمكن من الاستبدال به.

أبو الفضل الميداني: مجمع الأمثال، ج١، ص ٣١٠.

الحُجب

هذا العالم بأسره حجب وأغشية تغطي الإنسان: العرش غلاف له، والكرسي غلاف له، والسموات السبع غلاف له، والكرة الأرضية غلاف له، وقالبه غلاف له، والروح الحيوانية غلاف له، والروح القدسية كذلك. غلاف يتبعه غلاف وحجاب يتلوه حجاب حتى ذلك المقام الذي هو المعرفة. وهذا العارف غلاف بالنسبة إلى المحبوب، ولا شيء. وما دام هو المحبوب، فالعارف ذليل له.

من المحب ومن المحبوب؟

كان الشيخ فلان في الأربعينية، وكان قد استغرق في التفكير في مَنْ العارف، ومن المحب، ومن المحبوب. فشهد نفسه كان يمضي في صحراء شاسعة، ليست صحراء الماء والطين. ورأى شيخًا كان يأتي من تلك الناحية. فلما وصل إليه، سأله: من المحبوب ومن المحب؟ قال: المحب ذلك الذي يأتي من تلك الناحية، والمحبوب ذلك الذي يمضي من هذه الناحية. وشاهد ضوء القمر قد سطع وسقط على زاوية مصلاه.

ترك الشيخ الباب مفتوحًا ليرى من سوف يأتي. فجاء شيخ، وجلس في تلك الزاوية. واعتراه حال، وكانوا يحملونه، فهذا الحال معهود منه. كان هذا حال الشخص خارج الأربعينية، فكيف يكون حاله في الأربعينية؟ ربما اعتراه وجد كان يعتريه في كل مرة. كان الشيخ يعلم ما

هذا الحال، وكان يتسم.

الوضوء أنت

غسلت وجهك. إن الله قد غسل وجهك. يقول: الوضوء على الوضوء نور على نور^(١٤٤)، الوضوء أنت، والوضوء على الوضوء أنت! الحسن والحسين عليهما السلام كانا يمشيان خلف الصحابة والنبي صلى الله عليه وآله، وكلما لقيا في الطريق ماء، جددا الوضوء. فسألهما النبي عليه السلام، لِمَ تكرران الوضوء؟ قالوا: يا رسول الله، سمعناك تقول: الوضوء على الوضوء نور على نور.

أنت في وضوء ووجد، طيب الله عيشك، ولكن احفظ هذه الوصية: إذا نقل إليك ناقل كلامًا هو جفاء ووحشة، فرد إليه، وقل: حاشا عن فلان، أنا أعرف مودته وحفظه الغيب. ولو قال: إنما قال لمصلحة ودفعًا لشر، ولو قال لغيب أيضًا، فله حقوق يحق له أن يحتمل عنه أضعاف هذا، وإذا الحبيب أتى بذنب واحد بعد ألف ألف تودد ومناصرة، إيش يكون؟ ففي حفظ هذه الوصية فوائد.

هناك فائدة ألا وهي: أن يرتدع هذا الشخص الناقل عن نمام، والفائدة الأخرى ألا وهي: أن أي كلام غني عن القول يبلغ ذلك

(١٤٤) الوضوء على الوضوء نور على نور.

المحدث: السبكي (الابن). المصدر: طبقات الشافعية الكبرى.

خلاصة حكم المحدث: ليس له إسناد صحيح.

الدرر السننية: الموسوعة الحديثية. dorar.net.

الشخص، لما يسمع مثل هذا الكلام الغني عن القول، لو يتحدث به، يخلج، ويقول: ليتني لم أقله. وإذا لم يقل، لكان أفضل. ولو يسمع الأنبياء هذا الكلام، يطيب لهم.

إنني أسدي هذه النصيحة للعميان الذين يروحون ويحيئون في الظلام وقد أشرفوا على الهلاك، ويمسكون العصي في أيديهم حتى لا يسقطوا في بئر مظلمة، وتنكسر عظامهم.

ولا ينبغي إسداء هذه النصيحة لضعيف البصر، لأنه يرى.

من ثم كل ناقل ينقل، اغضب من هذا الناقل بدلاً من أن تغضب من المنقول عنه. ولما تستاء منه وتغضب، تتحقق الفوائد.

التعلم حجاب

اعلم أن التعلم حجاب كبير أيضاً، يغوص الإنسان فيه وكأنه سقط في بئر أو خندق. وعندئذ يتحسر لأنه يعلم أنهم شغلوه بالتطفل، حتى يترك اللوت الباقي الأبدي. إنها الكلمة ورنين الإناء.

نقل الكلام

إنني أؤكد أنه لا يجب الإصغاء إلى النقل السيئ. جاء فلان الذي كانوا قد نقلوا له كلاماً عني البارحة، وعبس في وجهي، وقال: كيف قلت عني كذا، وقد التحقت بخدمة العديد من المشايخ، وأثنوا عليّ جميعاً، واختبروني، ولم يدعوني أبعد عنهم؟ قلت: كن أكثر تأدباً في السؤال حتى أجيبك. قال: نتمهل حتى يلتقط النفس، وأستطيع أن أتحدث بأدب.

قلتُ له: ابقَ ساعتين. فبقي ساعة، واستهل كلامه قائلاً: لقد كنت مقبولاً ومعروفاً لدى الجميع، وقد لقبني الجميع باللقاب حسنة، فكيف تراني على خلاف ذلك؟ تعالِ إذن، أي لقب تلقبني به؟ قلت: أسمىك مسلماً لو تُسلم، وإلا ألقبك بالكافر والمرتد وبكل لقب أسوأ منهما. من ثم لو أنك تتحدث لاهتاً، تحدث، وإلا فلن أجيبك مرة أخرى.

سبحان الله، الجميع يفتدي الإنسان، والإنسان يفتدي نفسه.

لم يقل قط: ولقد كرّمنا السماوات، ولقد كرّمنا العرش^(١٤٥). لو تمضي إلى العرش، لا تحقق لك أي فائدة، ولو تسمو فوق العرش، أو تغوص تحت طبقات الأرض السبع، لا تتحقق لك أي منفعة. وينبغي عليك أن تفتح باب القلب. إن معاناة الأنبياء جميعهم والأولياء والأصفياء من أجل هذا، وكانوا ينشدون هذا.

معرفة النفس

العالم كله مُتَجَلٍّ في إنسان. وما دام قد عرف نفسه، فقد عرف كل شيء.

التار بداخلك، التار صفة القهر، ومتحققة فيك.

(١٤٥) إشارة إلى الآية: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾. سورة الإسراء، الآية ٧٠.

الهداية

اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون^(١٤٦)، يعني: اهدِ أجزائي. كانت تلك
الأجزاء كافرة، لكنها كانت جزءاً منه، إذا لم تكن جزءاً منه، لبقيت
منفصلة عنه، فكيف يكون هو الكل؟

يبقى أثر للقمر على وجهه

ويبقى شيء منه في ذلك الملائكي الطبع

لا، لا، شتان بينهما، فمن القمر؟

إن الروح عبده، وتبقى به

سطع القمر على وسادتك في القصر الليلة الماضية

فقلتُ: سأسحق رأسه وقدمه بسبب الغيرة

فمن يكون القمر حتى يجلس معك في مكان واحد؟

أيها السائح المحنك، المشار إليه بالبنان

(١٤٦) اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون: إشارة إلى الحديث: رُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا كُتِرَ رِبَاعِيَّتُهُ، وَشُجَّ وَجْهُهُ يَوْمَ أَحُدَ. شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِهِ شَدِيدًا، وَقَالُوا: لَوْ دَعَوْتَ عَلَيْهِمْ! فَقَالَ: إِنِّي لَمْ أَبْعَثْ لَعْنًا، وَلَكِنِّي بَعَثْتُ دَاعِيًا وَرَحْمَةً. اللَّهُمَّ اهدِ قومي فإنهم لا يعلمون. رواه مسلم.

القاضي عياض (أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ٤٧٦ هـ - ٥٤٤ هـ): الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه حسين عبد الحميد نيل، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص ٩٥.

الهروب من السجن

يعتذر الرجال مرة واحدة في العمر، ويندمون عليها.

كان أحدهم يبكي قائلاً: قتل التتار أخي، وقد كان عالمًا. قلتُ: لو أنك تحظى بالعلم، لعلمت أن التتار أحيوه حياة أبدية بضربة سيف. وإلا فماذا يعرف الموتى والوعاظ الموتى عن تلك الحياة؟ إنهم يعتلون المنبر، وبأخذون في النواح.

يقول: الدنيا سجن المؤمن^(١٤٧). وقد هرب أحدهم من السجن، وينبغي البكاء عليه حسرة، فلماذا هرب من هذا السجن؟ هل أحدث التتار شقًا في السجن؟ أم أن هناك سببًا آخر؟ وقد خرج من السجن، ونقل من دار إلى دار.

إنك تبكي وتتحسر قائلاً: لماذا أطلقوا هذا السهم على حائط السجن ذلك؟ ولماذا قذفوه على ذلك الحجر؟ ألم يتحسروا على ذلك المرمر اللطيف؟ أو أنهم فكوا قيدًا كان في قدمه، فهرب. وأنت تصرخ وتلطم وجهك ورأسك، وتبكي متحسرًا وتقول: لماذا فكوا ذلك القيد؟ أو أنهم حطموا القفص، فتستغيث قائلاً: لماذا حطموا ذلك القفص، فتحرر ذلك الطائر، أو شقوا جبلًا، فبرز الرجس والدنس؟ فتأوهت متحسرًا، وقلت: لماذا زال ذلك الدنس؟

(١٤٧) الدنيا سجن المؤمن. إشارة إلى الحديث: الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر.

الراوي: أبو هريرة. المحدث: الألباني، مسلم.

المصدر: صحيح مسلم. خلاصة حكم المحدث: صحيح.

الدرر السننية: الموسوعة الحديثية. dorar.net.

عليكم بالسواد الأعظم^(١٤٨)، يعني بخدمة العارف الكامل. وإياكم

والقرى^(١٤٩)، يعني صحبة الناقصين.

الناس معادن كمعادن الذهب^(١٥٠).

(١٤٨) عليكم بالسواد الأعظم. إشارة إلى الحديث:

لا يجمع الله هذه الأمة على الضلالة أبداً، وقال: يد الله مع الجماعة، فاتبعوا السواد الأعظم، فإنه من شدد، شدد في النار.

الراوي: عبد الله بن عمر. المحدث: ابن حجر العسقلاني.

المصدر: إتحاف المهرة. خلاصة حكم المحدث: ضعيف.

الدرر السنية: الموسوعة الحديثية. dorar.net.

(١٤٩) وإياكم والقرى. إشارة إلى الحديث: يا ثوبان، لا تسكن الكفور، فإن ساكن

الكفور كساكن القبور، ولا تأمرنَّ على عشرة، فإنه من تأمر على عشرة، جاء يوم القيامة مغلوله يده إلى عنقه، فكَّه الحقُّ أو أوبقه الظلم.

الراوي: ثوبان مولى رسول الله ﷺ. المحدث: ابن الجوزي.

المصدر: الموضوعات لابن الجوزي. خلاصة حكم المحدث: لا يصح.

الدرر السنية: الموسوعة الحديثية. dorar.net.

(١٥٠) الناس معادن كمعادن الذهب. إشارة إلى الحديث:

الناس معادن كمعادن الذهب والفضة، خيارهم في الجاهلية، خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، والأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف.

الراوي: أبو هريرة.

المحدث: الألباني.

المصدر: صحيح الجامع.

خلاصة حكم المحدث: صحيح.

التخريج: أخرجه البخاري.

الدرر السنية: الموسوعة الحديثية. dorar.net.

عجائب البر!

يُقال: إن حمزة وعبد الرحمن كانا يسافران معًا أسفارًا طويلة لشغفهما بمشاهدة عجائب الأرض والمعادن، حتى أدركا معدنًا كانت أرضه كلها ذهبًا في ظاهرها وفي باطنها أيضًا. لكن كان في تلك الأرض نمل، وكانت كل نملة بمثابة عدة أفيال نعوذ بالله.

كانت عادة ذلك النمل ألا تبرز في وقت الحرب إلا نملة واحدة لشخص واحد. تقدم حمزة في البداية، وضرب نملة بسهم. ثم جاءت نملة أخرى، فضربها بسهم، وعلى هذا النحو أصاب عشر نملات.

فرَّ حمزة، وركب السفينة من أجل الراحة. فتقدم عبد الرحمن، ووضع السهم في القوس. توجهت نملتان نحوه، وتعطل سهمه. صاح حمزة: عُذ، ولا شأن لك بهما. ففرَّ، وركب السفينة.

كانت هذه عجائب البر، فما بالك بسفرهم في البحر الذي هو الأصل! عندي شكوى طويلة، أشكوها في الليل الطويل.

رزق الله

كان درويش يريد شيئًا، فدفعه صاحب الدكان قائلًا: غير موجود. فقلتُ له: إن هذا الدرويش عزيز، لماذا لم تعطه شيئًا؟ قال: إن الله تعالى لم يرزقه. قلتُ: كان الله تعالى قد رزقه، ومنعته أنت. الشيء الذي أراه، كيف لا أصدقه؟ إذا وضعت يدك في هذا الكيس، وقبض طرفه على يدك، جرحك. المعاينة ليست بالتأويل. وكنتُ أقول: لا قدر الله.

اللفظ الخفي

يا ذا اللطف الخفي، اللطف الخفي هو الذي يمتن به في المعصية،
وإلا فإن اللطف في الطاعة لا يكون خفيًا.

كان شخصان يتصارعان أو يتبارزان. فمن غلب وهُزم من هذين
الشخصين، يكون الحق معه، ولا يكون مع الغالب، لأنه قال: أنا عند
المنكسرة^(١٥١).

ما ذنب اليوم؟

هناك قوم يستسهلون السب واللعن. والسب واللعن الشديد عندهم
هو: أن تؤجل أعمالك كلها إلى الغد. يعني ماذا حدث لليوم؟ إنهم
استثنوا هذا اليوم، فأَيُّ ذنب كان قد اقترفه، فسقط من حسابهم؟!

أين اليمين وأين ما عاهدتني

ما كان أسرع في الهوى ما خنتني

لما ملكت قيود أسري في الهوى

وعلمت أنني عاشق لك خنتني

فلأقعدن على الطريق وأدعي

في زي مظلوم وأنت ظلمتني

(١٥١) أنا عند المنكسرة. حديث لا أصل له. ورد على النحو الآتي:

قال الله تعالى: أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي.

الدرر السنية: أحاديث منتشرة لا تصح. dorar.net.

نفسى ترق لما ألاقه من

الهجران أو تبلى بما أبليتني (١٥٢)

كثرة الدعاوى

ذلك الشيء الذي انشغلت به بعض الوقت، أصبح ميسورًا لك، فكيف أنت اليوم؟ أين اليمين؟ يعني ماذا فعلت؟ على هذا النحو يتجاوز كلامنا ما قلناه.

أنت نفسك رجل عظيم. وإنه رجل عظيم، يتعلم تفسير القرآن. كل من صار عالمًا كاملاً، صار محرومًا من الله تمامًا، وكثرت دعاواه. والرومي الذي يُسلم في هذه اللحظة، يعرف الله. ومن كثرت دعاواه، لا يستطيع مائة ألف نبي تخليته منها.

(١٥٢) هناك أبيات بهذا المعنى وردت في قصيدة لسعيد بن أحمد البوسعيدي م١٢٢٥هـ الآتية:

يا من هواه أعزه وأذلني	كيف السبيل إلى وصالك دلني
وتركتني حيران صبا هائما	أرعى النجوم وأنت في نوم هني
عاهدتني ألا تميل عن الهوى	وحلفت لي يا غصن أن لا تشني
هب النسيم ومال غصن مثله	أين الزمان وأين ما عاهدتني
جاد الزمان وأنت ما واصلتني	يا باخلا بالوصل أنت قتلتني
واصلتني حتى ملكت حشاشتي	ورجعت من بعد الوصال هجرتني
لما ملكت قياد سري بالهوى	وعلمت أنني عاشق لك خنتني
ولأقعدن على الطريق فأشكتي	في زي مظلوم وأنت ظلمتني
ولأشكينك عند سلطان الهوى	ليعذبنك مثل ما عذبتني
ولأدعين عليك في جنح الدجى	فعساك تبلى مثل ما أبليتني

.aldiwan.net

البكاء حجاب

البكاء الكثير يصير حجابًا، ويبعد عن الله. قل: يا معين. ماذا فعلت بما قلناه؟ قال: قلتُ. قال: ما الدليل على أنك قلتُ؟ كيف يجيبون، إن سمعي ثقيل، فتحدث في أذني!
تصاممت إذ نطقت ظبيّة

تصيد الأسود بالحاظها

وما بي وقر ولكنني

أردتُ إعادة ألفاظها

إجابة الدعاء

كما قال: تُناجي الملائكة الله تعالى قائلة: إن العبد المؤمن فلان يتضرع كثيرًا ويبتهل ويستغيث، وأنت تقبل دعاء الغرباء، فماذا يحدث لو تُلبي له حاجته؟ فيقول: ذروني وعبدني، فلستم بأرحم به مني، إني أحبه وأحب صوته (١٥٣).

(١٥٣) ذروني وعبدني... صوته. إشارة إلى الحديث:

إن العبد يدعو الله وهو يحبه، فيقول الله عز وجل: يا جبريل، اقض لعبدني هذا حاجته وأخرها، فإني أحب أن لا أزال أسمع صوته. وإن العبد ليدعو الله وهو يبغضه، فيقول الله عز وجل: يا جبريل، اقض لعبدني هذا حاجته وعجلها، فإني أكره أن أسمع صوته.

الراوي: جابر بن عبد الله. المحدث: الألباني.

المصدر: السلسلة الضعيفة. خلاصة حكم المحدث: ضعيف جدًا.

الدرر السنينة: الموسوعة الحديثية. dorar.net.

إن سبب تأخير إجابة دعاء البعض هو كمال المحبة. عند استحسان المشقة والحجاب، يهرب الكلام. وحين لا يستحسنها، يريد أن يمزقه إربًا إربًا، ويطيب له البكاء تارة، ويكره البكاء والضحك كذلك تارة أخرى.

البكاء على النفس

كان شمس الخجندي^(١٥٤) يبكي على أسرة النبوة. وكنا نحن نبكي عليه. لماذا يبكي على أسرة النبوة؟ مات أحدهم، فيبكي عليه، ولا يبكي على نفسه! إذا كان يطلع على حاله، لكان يبكي على نفسه، بل إنه كان يحضر قومه جميعًا، وأقاربه، ويبكي منتحبًا على نفسه.

التغير

إن التغير ليس من صفات الحق، بل إنه من صفاتك أنت. مثلما تشتهي الطعام أحيانًا، وتطلبه، وتعرض عنه أحيانًا أخرى. تشتاق إلى رفيق تارة، وتميل إليه، وتظن أنه صار محبوبك. وفي هذا الوقت تتغير، وكأنه صار مبغوضًا منك. فلو أنك ثَبَّتَ على ذلك الحال الأول، لكان مطلوبك ومحبوبك على الدوام.

(١٥٤) شمس الخجندي: ذكر اسم شمس الخجندي مرات عديدة في مقالات شمس الدين التبريزي، كما ورد ذكره في مکتوبات مولانا جلال الدين وأنه كان إمامًا وخطيبًا لمسجد قرا أرسلان.
انظر: شمس الدين محمد تبريزي، مقالات شمس تبريزي، تصحيح محمد علي موحد، ص ٥١٢.

البالغ

يقولون: بالغ. فماذا فهموا من كلمة البالغ؟ إن البالغ هو من يرى عياناً. ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى﴾^(١٥٥). من ثم إنه لا يقصد هذا الضربير الظاهر. وهكذا يجب أن يشاهد بهذه العين عياناً. أين ذلك الذي يتباهى قائلاً: حتى رأى قلبي ربي^(١٥٦)؟ يصير أحدهم بالغاً، وهو لا يعلم أنني صرت بالغاً أيضاً.

يصل إلى آقسرا، ولا يعلم أنني وصلت إلى آقسرا. لكنه ما دام لم يصل،

(١٥٥) ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى﴾. سورة الإسراء، جزء من الآية ٧٢.

(١٥٦) حتى رأى قلبي ربي.

لعله يقصد الحلاج م٣٠٩هـ الذي قال في قصيدة عنوانها مناجاة الحق ما يأتي:

رأيت ربي بعين قلبي	فقلت: من أنت؟ قال: أنت
فليس للأين منك أين	وليس أين بحيث أنت
أنت الذي حزت كل أين	بنحو لا أين فأين أنت
وليس للوهم منك وهم	فيعلم الوهم أين أنت
وجزت حد الدنو حتى	لم يعلم الأين أين أنت
ففي بقائي ولا بقائي	وفي فنائي وجدت أنت
في محو اسمي ورسم جسمي	سألت عني فقلت: أنت
أشار سري إليك حتى	فنييت عني ودمت أنت
وغاب عني حفيظ قلبي	عرفت سري فأين أنت
أنت حياتي وسر قلبي	فحيثما كنت كنت أنت
أحطت علماً بكل شيء	فكل شيء أراه أنت
فمن بالعفو يا إلهي	فليس أرجو سواك أنت

ديوان الحلاج ومعه أخبار الحلاج وكتاب الطواسين، وضع حواشيه وعلق عليه

محمد باسل عبود السود، مركز تحقيقات كامبوتري علوم إسلامي، ص ١٢٣، ١٢٤.

فهو في خوف ورجاء^(١٥٧). من يعلم أنه سوف يصل أم لا؟ إنه يشك في الأمر. إنهم يقولون: ما دمنا لا نرى ذلك الموجود، لا نسافر إليه. ويقول ذلك الموجود: وما داموا لا يسلكون الطريق، ولا يبذلون الجهد، لا أتجلى لهم حتى يفعلوا ذلك، وما داموا لا يفعلون ذلك في البداية من تلقاء أنفسهم، لا ينقضي الأمر.

الحكيم وقيماز

إذا كان التقليد^(١٥٨) واجباً، فتقليد القرآن. مثلما قال فلان الحكيم ذلك: كان هناك حكيم، لا نظير له في العلم والتجربة في الربع المسكون،

(١٥٧) الخوف والرجاء:

الخوف عند أهل السلوك هو الحياء من المعاصي والمناهي والتألم منها. والخائف كما قال أبو عمر الدمشقي: من يخاف من نفسه أكثر مما يخاف من العدو. وقال ابن خبيق: الخائف الذي يكون بحكم كل وقت: فوقت تخافه المخلوقات ووقت تأمنه، والذي تخافه المخلوقات هو الذي غلب عليه الخوف فصار خوفاً كله، فيخافه كل شيء. كما قيل: من خاف الله خافه كل شيء.

والرجاء إسكان القلب بحسن الوعد، وقيل: الرجاء الثقة بالوجود من الكريم الودود، وقيل: توقع الخير ممن بيده الخير. وقيل هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب. وقيل قرب القلب من ملاطفة الرب.

محمد علي التهانوي: كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، الجزء الأول، أ - ش، ص ٧٦٦، ٨٤٣، ٨٤٤.

د. أنور فؤاد أبو خزام: معجم المصطلحات الصوفية، ص ٨٢، ٨٩.

(١٥٨) التقليد: التقليد هو اتباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل معتقداً للحقية من غير نظر إلى الدليل. ولا يعد الرجوع إلى الرسول ﷺ أو الإجماع تقليداً، لقيام الحجة فيه.

انظر: محمد علي التهانوي: كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج ١، ص ٥٦٠.

وكان لديه غلمان، كانت شعرة منهم تساوي مائة مثله.

كان الحكيم قبيح المنظر، بغض الهيئة للغاية، إلى حد أنه قلما يوجد شخص كرهه اللقاء مثله في مدينة. وقد اختلط رأسه ووجهه معاً، فلا ترى شيئاً واضحاً أبداً، لا الفم ولا العين.

أصاب الحكيم داء لا دواء له إلا تناوله نجاسة إنسان، ولفه في كليم، ودحرجته.

كان كثير من الأطباء قد التفوا حوله، وكان بعضهم ينظر إلى بعض، ولم يستطيعوا الكلام. فهم الحكيم وكان هو نفسه يعرف، لأنه كان أستاذ الجميع. وقال: إنني أعلم، إنني أعلم أنه ينبغي عليّ تناول النجاسة، وما دام الأمر ضرورياً، فشيء من قيماء، وكان يحبه كثيراً.

الحضور

تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة^(١٥٩). المراد بذلك التفكير^(١٦٠)

(١٥٩) تفكر ساعة خير من عبادة ستين سنة.

الراوي: أبو هريرة.

المحدث: العراقي.

المصدر: تخريج الإحياء.

خلاصة حكم المحدث: إسناده ضعيف.

الدرر السننية: الموسوعة الحديثية. dorar.net.

(١٦٠) التفكير سراج القلب يرى به خيره وشره ومنافعه ومضاره، وكل قلب لا تفكر فيه فهو في ظلمات يتخبط. وقيل: هو إحضار ما في القلب في معرفة الأشياء. وقيل: التفكير تصفية القلب بموارد الفوائد. وقيل: فناء الدنيا وزوالها وميزان بقاء الآخرة ونوالها. د. أنور فؤاد أبو خزام: معجم المصطلحات الصوفية، ص ٧٥.

هو حضور الدرويش الصادق. وألاً يكون في تلك العبادة أي رياء، ولا جرم أن ذلك يكون أفضل من عبادة الظاهر من دون حضور.

إن للصلاة قضاء، وليس للحضور قضاء. تخلى بعض الفقهاء عن الظاهر، وقالوا: لا صلاة إلا بحضور القلب. وفي الشرع لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب^(١٦١). وفاتحة الكتاب بالنسبة إليهم هي الحضور. الحضور الذي لو يأتي جبريل إلى صاحبه، يصفعه.

لم يكن قد أدرك الحضور بعد حتى قال له: تعال، فقال: لا، لو دنوت أنملة لاحترق.

حسن الخاتمة

إنني أحسن الظن بأصحابي، وما أراه عياناً لا يسعني أن أظن ما يخالفه. لكنني لم أظن في الكافرين ظناً سيئاً في البداية، وكنت أقول: من يعلم؟ ربما يكون مُسَلِّماً في الحقيقة وفي العاقبة.

كان أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يعبد الأصنام أربعين عاماً، وكان يطلب حاجته من الصنم، ويقول: أيها الصنم. وكان الصمد يقول له: لبيك.

(١٦١) لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب. إشارة إلى الحديث:

لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب.

الراوي: عبادة بن الصامت. المحدث: البخاري.

المصدر: صحيح البخاري. خلاصة حكم المحدث: صحيح.

الدرر السنية: الموسوعة الحديثية. dorar.net.

دخل في مجلس النبي ﷺ فقير، فبسط رجل غني ذيله على ذيل
الفقير تكبراً وتجبّراً، فغضب رسول الله ﷺ، ونظر إليه نظر المغضب،
فقال الغني: يا رسول الله، أنا أعطيه نصف مالي حتى تستحل لي، فأحل.

خبر عن المصطفى

لا أُخبر بخبر ضئيل عن المصطفى ﷺ في مقابل مائة ألف رسالة
قشيرية وقريشية وغيرها. إنها غثة وسخيفة! إنهم لا يدركون ذوقها
ومعناها. كما أنهم لا يمنحون جرعة للأنايين.

الصبي ذو السبعة عشر عاماً

كان هناك صبي، سمع كلامنا، وكان لا يزال صغيراً. فانصرف عن
والديه، وظل حائراً في أمرنا طوال اليوم، وكان يقول: يتعين عليّ أن
ألتحق بالخدمة.

كان الوالدان يبكيان ويرتعدان، وكان هو خائفاً أيضاً من أن أعلم
بالأمر، وأعرض عنه. وقد تجاوز الأمر هذا، فكان يضع رأسه على ركبتيه
طوال اليوم، وكان قد قال شيئاً لوالديه، فلم يستطيعا الاعتراض عليه.
وكنت أنصت على الباب زمناً لما يقول، فسمعتُه يُنشد هذين البيتين:

يتردد العشاق على محلّتك

ويذرفون دم القلب من العين ويمضون

وأنا مقيم على بابك دائماً مثل التراب

لكن الآخرين يأتون ويذهبون مثل الريح

وكنْتُ أقولُ له كرر ما قلت، قال: لا. ومات في السابعة عشرة من عمره.

صدر الإسلام وقلبه

كيف أصف صفاء طبع صدر الإسلام وكياسته وحسنه وجماله وعظمته؟ إن الصدر أعم من القلب وأشمل، لكن الصدر محل الوسواس لا القلب. إنه لم يقل: ﴿يُوسَّوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾^(١٦٢). وشتان بين صدر الإسلام وقلبه!

مات وعاش!

ما دام الماء قد غمر الفم والأنف والرأس، فقد اطمأن إذن. وما دام الفم والأنف فوق الماء، فإنه يمضي بنفسه، ويعيش بنفسه. لما غرق في الماء تمامًا، وغاص الفم والأنف، يقولون: إنه مات. ويقول البعض: إنه عاش. وكلاهما على صواب. فقد انقضت تلك الحياة العارية، وبدأت الحياة الأبدية الباقية.

التوبة أو الهلاك!

لقد كان عيب أولئك المشايخ أنهم قالوا لعله ما: أنا الحق. وتركوا الاتباع، وقد جرى ذلك على ألسنتهم. وإلا فأَيُّ كلاب هم حتى يقولوا ذلك الكلام؟ فالهلاك لهم أو التوبة.

(١٦٢) إشارة إلى الآية: ﴿الَّذِي يُوسَّوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾. سورة الناس، آية ٥.

بعد المعراج

كان الرسول عليه السلام قد عاد من المعراج. وكان كل شخص يسأله عن مسألة شغلته، فسأله أحدهم عن اللقاء، وسأله آخر عن صفة الجنة. وقالت فاطمة رضي الله عنها: صف الجحيم، فإنني أخشاها، ولا أعرفها.

العيب فيك

الرجل هو من يُعَيَّب نفسه، ويتعلم من سليمان صلوات الله عليه. ﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ﴾ (١٦٣). إنه لا يُعَيَّب الطائر، بل يُعَيَّب نفسه. ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَنِفْسِكَ﴾ (١٦٤). مع أن العقيدة هي: ﴿قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (١٦٥). ولكن في حال التعيب، يأخذ ﴿فَنِفْسِكَ﴾ بعين الاعتبار.

بيت الرحمة

لو يعلم الأصحاب كيف ننشغل بأمرهم، وأي سعادة نبتغيها لهم، لكانوا يضحون بأرواحهم في سبيلنا، إذ كيف يفكر خاطر تطهر من الشيطان ووساوسه؟ إن الشيطان لم يتسلل إلى ذلك القلب قط، وأقامت فيه الملائكة على الدوام.

(١٦٣) ﴿مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ﴾. سورة النمل، جزء من الآية ٢٠.

(١٦٤) ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَنِفْسِكَ﴾. سورة النساء، جزء من الآية ٧٩.

(١٦٥) ﴿قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾. سورة النساء، جزء من الآية ٧٨.

يقول الحق تعالى: إنني أجعل هذا القلب بيت رحمتي. فتكروا أنتم
واخرجوا منه.

من ثم الخواطر ثلاثة أقسام: خاطر هو بيت الشيطان دائماً. وخاطر
بيت للشيطان وللملاك معاً، خرج الملاك لحظة فدخل الشيطان، ودخل
الملاك لحظة، فطرد الشيطان. وخاطر آخر خاص بذلك الملاك، لا
يدخله الشيطان.

سفرة بلا طعام!

هذا الذي كتبه أثر من مكاتيب اللوح المحفوظ. حين يمل من مطالعة
مكاتيب اللوح المحفوظ، ينظر فيه. وهناك قوم لا يرفعون أبصارهم عن
اللوحة المحفوظ أبداً. وينتبهون إليه دائماً.

الخلاصة: إنه ييسط سفرة حريرية، ويضع فوقها أواني ذهبية
وصينيّات مرصعة بالذهب والجواهر، ولكن لا يوجد بها أي طعام. ليتها
كانت خشبية، وكان بها طعام!

التوبة مرة واحدة

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ (١٦٦). ما معناها؟ ينبغي على
العاقل أن يندم مرة، ويتوب مرة في العمر، وتكون هذه المرة عاراً
وفضيحة كبيرة.

(١٦٦) ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾. سورة الفرقان، جزء من الآية ٤٥.

أنت عالم بلا حد

الجميع مغرورون: موسى وعيسى وإبراهيم ونوح وآدم وحواء وآسيا والخضر وإلياس وفرعون والنمرود وغيرهم. إنك عالم بلا حد، فأي مجال للسموات وللأرضين؟ لا يسعني سمائي ولا أرضي بل يسعني قلب عبدي المؤمن^(١٦٧). إنك لن تدركني في السماء ولا فوق العرش.

المُشَبِّه والمُذَكِّر

أين ذلك المُشَبِّه حتى ينادي: وا أبتاه، وا رباه؟ وكان ذلك المُذَكِّر يقول كذلك: لا تتوهموا أن الله في الجهات الست، أو فوق العرش، أو على الكرسي. فنهض مُشَبِّه، وطرح الرداء، وصاح: وا رباه، فلتضع في العالم مثلما ضيَّعتَ إلها!

رحلة الطيور

ذهبت تلك الطيور جميعاً إلى السيمرغ^(١٦٨). واعترضت طريقها

(١٦٧) لا يسعني سمائي... عبدي المؤمن.

حديث لا أصل له.

انظر: الدرر السنية: أحاديث منتشرة لا تصح. dorar.net.

(١٦٨) الطيور والسيمرغ: نظم العطار قصة الطيور والسيمرغ في منظومة منطلق الطير، وتعد أشهر منظوماته على الإطلاق. وقد نظمها في سنة ٥٨٥هـ، وتحكي قصة مجموعة من الطيور اجتمعت برئاسة الهدهد، وقالت: إن جميع الممالك لا تخلو من ملك يدبر لها أمورها، ويمثل الجميع لأوامره ونواهيها، فلماذا تعيش الطيور من دون ملك أو مرشد؟ فأخبرهم الهدهد بأن لهم ملكاً اسمه السيمرغ، يعيش خلف جبل قاف، وأن الوصول إليه عسير، والطريق إليه مليء بالأهوال والمخاطر، =

سبعة بحار، وهلك البعض بسبب البرد، وهلك البعض بتأثير البحر. وبقي ثلاثون طائرًا من تلك الطيور جميعها. وتمت الوصول إلى السيمرغ بعد أن هلك الجميع. وبمجرد أن شاهدت السيمرغ، تقطرت قطرات الدم من مناقيرها، وماتت.

لقد سكن هذا السيمرغ عند جبل قاف، ويعلم الله إلى أين يطير. تضحى هذه الطيور جميعها بأرواحها حتى تلتف حول جبل قاف.

= وأقنعهم بضرورة سلوك الطريق إليه. فسلكت الطيور الطريق إليه، ولما كان الطريق وعراً محفوفاً بالمخاطر والأهوال، فقد عجزت بعض الطيور عن مواصلة السير، وتوقف البعض عن المسير، واجتازت بعض الطيور -بزعامه الهدهد- أودية الطريق السبعة، ألا وهي: وادي الطلب - وادي العشق - وادي المعرفة - وادي الاستغناء - وادي التوحيد - وادي الفقر - وادي الفناء. وفي النهاية وصل ثلاثون طائرًا إلى حضرة السيمرغ، فوجدوا أن السيمرغ هو الثلاثون طائرًا، وأن الثلاثين طائرًا هي السيمرغ. وقد لاقت منظومة منطق الطير رواجًا وقبولًا عند الصوفية، فكانوا يطالعونها ويتدارسونها في الخانقاهات والزوايا. وليس من شك أن القصة عند العطار قد انطبعت بالطابع الصوفي، فرمز بالطيور إلى السالكين، وبالهدهد إلى الشيخ المرشد الذي يهديهم إلى الطريق، ويطلعهم على عقباته، ويبين لهم كيفية التغلب عليها، وعبر عن الذات الإلهية بالسيمرغ، كما أنه شرح فيها مفهوم الفناء الذي لا يتحقق للسالك إلا بالمحبة الإلهية، وسلوك الطريق الصوفي. والقصة بصفة عامة تدور حول المعراج الروحي، وسلوك المريدين للطريق، حتى يبلغوا الغاية من السلوك ألا وهي الفناء عن النفس والبقاء بالله.

للمزيد من المعلومات، ارجع إلى: د. بديع محمد جمعة: من روائع الأدب الفارسي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، الطبعة الثانية ١٩٨٣، ص ٢٥٧-٢٦٤.

منطق الطير لفريد الدين العطار النيسابوري، ترجمة وتعليق د. بديع محمد جمعة، مراجعة وتقديم د. عبد النعيم محمد حسنين، دار الرائد العربي، الطبعة الأولى ١٩٧٥.

إنهم يَدْعُونَ أن أحوالاً تعتر بهم. وإذا اعتري أحدهم أثر حال مرة طوال عمره، لتبدلت أحواله.

الدجال

يقولون: إن الدجال يقتل الماعز والأغنام، ويذبح الطيور، وينزع ريشها وزغبها. ثم يلمسها بيده، فتبرأ من كل عيب وعلة. ولم يغتر عباد الحق وأتباع محمد بذلك، مع أنه جاء بما يشبه المعجزة.

هذا الشخص مقلد، لكنه يعتقد أن العناية الإلهية تحرسه. أحياناً يصل أثر تلك العناية إلى روحه خفياً مستوراً. ويقوى ذلك التقليد إلى حد أنه لا يعلن ذلك الخبر بألف معاناة من معانات الدجال هذه.

من ثم ذلك الشخص الذي يعتريه ذلك الحال دائماً، لا ينقطع عنه أبداً، لا في وقت الطعام، ولا عند النوم، ولا في المستراح. وربما ذهب إلى المرحاض، والحال يلازمه، فكيف يكون حاله؟

ارقص!

قال: لقد أسأت إلى العلماء جميعاً بهذا السماع. فقلت: ألم تعلم أنه لا يمكن التمييز بين الحسن والسيئ، والكافر والمسلم إلا بهم؟ يقول: لقد أدركت الله تعالى بالرقص. قال: ارقص أنت أيضاً، تدرك الله تعالى. خطوتين وقد وصل.

صورة الشيطان

ذات يوم كنت أشرح معنى هذه الآية على سبيل الرمز: ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾^(١٦٩). فقلت: يقول الرسول: إن الشيطان ليجري في عروق بني آدم مجرى الدم^(١٧٠). من ثم هذا الشيطان لا يتمثل على هيئة تركماني مرتدٍ قلنسوة حتى ترسموه.

وقد غضب موسى، وركز قبطياً^(١٧١)، وكان ذلك الغضب من الشيطان.

لقد استأثرت من ابن جلال الوركاني، فما هذا الشيطان! إلا أنني شرحت سبب مقتل القبطي. فقال: إن ما قلته حسن. لكن اعترف بصورة

(١٦٩) ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾. سورة القصص، جزء من الآية ١٥.

(١٧٠) إن الشيطان ليجري في عروق بني آدم مجرى الدم. إشارة إلى الحديث: يا فلان، هذه زوجتي فلانة. قال: من كنت أظن به، فلم أكن أظن بك. قال: إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم.
الراوي: أنس بن مالك. المحدث: الألباني. المصدر: صحيح الأدب المفرد.
خلاصة حكم المحدث: صحيح. التخريج: أخرجه مسلم والبخاري واللفظ له.
الدرر السنية: الموسوعة الحديثية. dorar.net.

(١٧١) موسى والقبطي: يُقال إن سبب خروج موسى بن عمران من مصر، وذهابه إلى أرض مدين، وإقامته هناك، أنه دخل المدينة، فوجد رجلين يقتتلان: أحدهما إسرائيلي من شيعته والآخر قبطي. فاستغاث به الإسرائيلي على القبطي. فركز موسى القبطي، ففضى عليه. وقد كان ذلك القبطي كافراً، فأراد موسى زجره وردعه، فلما مات، قال موسى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾. سورة القصص، آية ١٦.

انظر: أبو الفداء إسماعيل بن كثير: قصص الأنبياء، ص ٣٥٤، ٣٥٥.

الشيطان هذه التي أشرحها. إنني أسميه معقولاً. وأنت تقول: إنهم منحوا الجميع للجميع. ومحمد آخر الجميع، لأنك تقر بأن العلوم كلها التي يتعلق بها قوام الدين يعلمها محمد، وتسمي محمداً الجميع. وكان يكرر أنه كامل، وقد منحوا الجميع للجميع.

قال لموسى عليه السلام، لما نجاه قائلاً: يا رب، ما الفائدة ما دام فرعون لن يقبل؟ قال: لا تضيع نفسك، وقل: فإن لله تعالى عبداً، يسمعون كلامه، ويفهمونه.

أقوال الخسيس

يجب أن تدركوا أن أولئك الأصحاب الذين أتحدث عنهم منا. يقول خسيس: إنهم يذمونني قائلين: إنه مخنث. أنا لست مخنثاً، ولا ينبغي عليّ التعامل مع هذا المغرور. لكنني أحسن إليه، وهو يحسن إليّ. وهو يشكو قائلاً: إنه لا يداريني.

وهو يمنحني اللوت (الطعام اللذيذ الدسم)، فلا أستطيع تناوله. يقولون: لماذا لا تأكله؟ فأقول: إنني أخجل. وكان غرضي أن أحمله إلى الدراويش، فلو أقول: لا أشتهيه، لا يصل إلى الدراويش. فأقول: إنني أخجل من تناوله هنا. فيقولون: إنك تتنازل ولا تخجل، فهل تستحي من تناول الطعام؟ فيقول ذلك المغرور: إن له أصحاباً، ويريد أن يأكل معهم. من ثم لم أقل من هو. وينبغي عليك خدمة مائة خسيس حتى تدرك ذلك الخسيس.

صدقة السرّ

صدقة السرّ هي التي لا تشعر معها بلذة التصدق بسبب غاية الاستغراق في الإخلاص، وفي الحفاظ على ذلك الإخلاص، يعني الانشغال بالتحسر والقول ليّتها كانت أفضل من هذا، ولعلها كانت أكثر من هذا.

من يشتري سبعين حجة؟

كان أبو يزيد رحمة الله عليه يذهب إلى الحج راجلاً في أغلب الأحيان، وكان قد حج سبعين حجة.

ذات يوم وجد أبو يزيد الخلق وقد أصابهم العجز بسبب ندرة الماء، وكادوا أن يهلكوا. ووجد كلباً بالقرب من بئر ماء، وكان الحجاج يتزاحمون على حافة تلك البئر، ويزعجون.

كان ذلك الكلب ينظر إلى أبي يزيد. فأوحي إليه بأن اجلب الماء من أجل هذا الكلب. فنادى قائلاً: من يشتري حجاً مقبولاً بشربة ماء؟ لم يهتم أحد. فكان يزيد قائلاً: خمس حجّات مقبولة لمترجل، وست حجّات، وسبع حجّات، حتى بلغ العدد سبعين حجة.

صاح أحدهم: أمنحك أنا. فجال بخاطر أبي يزيد: ما أعجبني، لقد بعث سبعين حجة بشربة ماء من أجل كلب!

لما وضع الماء في الوعاء، وقدمه للكلب، أعرض الكلب عنه. فانكب أبو يزيد على وجهه، وتاب. فهتف به هاتف: كثيراً ما تقول

لنفسك: فعلتُ هذا، وفعلتُ ذاك من أجل الحق. ألا ترى أن كلبًا لا يقبل عملك؟ فصاح: إنني تبت، ولن أفكر في ذلك مرة أخرى. وفي الحال طأطأ الكلب رأسه في الوعاء، وأخذ يشرب.

لا تصفح عني في ذلك الوقت الذي أُقْبِل فيه قدمك قُبْلَةً

متشفعًا متضرعًا

طريق من دون مرشد

لقد سلك أُوحد الواسع الخيال^(١٧٢) طريق الضلالة قبل العلم. وخيالاته بعد العلم صائبة وحسنة للغاية. وبعدها اليقظة. والمقلد الصادق أفضل منه، لأنه يريد بذكائه اتباع طريقة ومسلك أسمى.

رأينا ضريرًا كان يستند إلى مبصر، ويمضي إلى آسرا. واستغنى ضرير آخر عن مساعدة مبصر، وهو يفتقد إلى البصيرة، فسلك طريقًا من دون مرشد، ومضى نحو العدم، وقد عمّر في العدم، ومات في العدم، أو مات بسبب الجوع والعطش، أو وقع عليه وحش، والتهمة.

(١٧٢) أُوحد الواسع الخيال: تعريض بأُوحد الدين كرماني عارف القرن السابع الهجري المشهور، صاحب محيي الدين بن عربي، وأنعم عليه الخليفة المستنصر بالخلع في سنة ٦٣٢هـ، وعينه شيخًا لرباط المرزبانية. وكان أهل بغداد يذهبون إليه، ويفيدون من مجالسه. وتعرف أُوحد الدين بشمس الدين التبريزي، وربما قابل جلال الدين الرومي أيضًا. وتوفي ٦٣٥هـ.

انظر: د. محمد معين، فرهنگ فارسي، جلد پنجم اعلام آ - ي، ص ١٩٣. كتاب موجز دائرة المعارف الإسلامية، ج ٢٧، ص ٥٠٥. Al-maktaba.org
شمس الدين محمد تبريزي، مقالات شمس تبريزي، تصحيح محمد علي موحد، ص ٥٢٢.

اتبع محمدًا

هؤلاء العوام الذين يؤدون الصلوات الخمس، ينجون من العذاب.
وا حسرتاه على هؤلاء الذين تركوا اتباع محمد.

قال أعرابي: يا رسول الله، ما الفريضة؟ فقال: الصلوات الخمس.
قال: لا أزيد ركعة. قال: والصوم. قال: أصوم ثلاثين يومًا. قال: والزكاة
كذلك. قال: هل هناك شيء مفروض عليّ سواها؟ قال: لا. قال: لن أزيد
عليها، وخرج.

ولما خرج، قال الرسول عليه السلام: لو يلتزم بها، ينجو. وقال
هؤلاء: حسناً! نحن نقنع بهذا القدر. وتخلوا عن الاتباع، وهم لا يملكون
البصيرة.

الشمس تجهل القمر!

ذلك الذي ولد في عين الشمس، وفتح عينيه فيها منذ الولادة، واعتاد
عليها، يقولون له: تحدث عن القمر، وتحدث عن عطارد. فكيف أستطيع
الحديث؟

إن الشمس لا تعلم هل يوجد قمر في العالم أم لا. وقد أصيب القمر
والسيارات بهذا العجز، ويرى الناس جميعًا هذا القمر، وينظرون إليه.
ومع أن نور الشمس لا يقارن بنوره أبدًا، فلا يستطيع أحد النظر إلى
قرصها، ولا تطيق العين ذلك.

السمندل

ما أعجب طائر السمندل! إنه لا يحترق بالنار، لكنه يغرق في الماء.
إن الطائر المائي لا يغرق في البحر، ولا يؤذيه البحر، لكن النار تحرقه.
وذلك الطائر الذي لا تحرقه النار، ولا يغرقه الماء نادر للغاية.

عالم القَدَم

فاعلم أنه لا إله إلا هو، أَمَر بالعلم. ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ (١٧٣)، أَمَر.
انفِ هذا الوجود، فالوجود حادث، وكيف يُدْرِك هذا الوجود الذي هو
حادث، عالم القَدَم؟
إن جسمك خُلِق البارحة، فَتَعَهَّد روحك يومين أو ثلاثة أو أكثر، بل
مائة ألف سنة، فإنها قليلة.

جفاء الحبيب

قال عمر رضي الله عنه -الذي قاءت الأرض اللبن بسبب ضربة
درته، وصار الخمر خلًّا كذلك- لشخص: ماذا تملك في يدك؟ فقال
ذلك الشخص: خل. ورببت الشمس على كتفه، فنظر إليها في دلال،
فغربت. أنا مقرر بهذا، وماذا أفعل إذا لم يقر به الفيلسفي؟
دخل عمر المسجد يومًا، وكان المصطفى صلوات الله عليه يهمس
بحديث إلى شخص. لم يجد عمر المجال، ومنعه تكدير خاطر الرسول
(١٧٣) ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾. سورة محمد، جزء من الآية ١٩.

من أن يقترب. وكان يفكر قائلاً: كيف لا أكون محرماً لذلك الكلام؟
علم الرسول عليه السلام بما يفكر فيه. ﴿نَبَأَنِ الْعَلِيمِ الْخَيْرُ﴾ (١٧٤).
فقال: يا عمر، أسمعت شيئاً مما قلته لذلك الرفيق وفهمته؟ قال: لا يا
رسول الله، لكنني كنت أرى شفيتك المباركتين تتحركان. قال: لقد
رأيت الكثير، وربما قَدَّرْتَ مخارج الحروف. فانقلب عمر على وجهه.
إنني أجافي كل من أحبه، وإذا قَبِلَ ذلك، أكون طوع أمره. إن الوفاء
هو المسلك الذي تسلكه مع الطفل ذي الخمس سنوات، فيطمئن إليك،
ويحبك، لكنه يجافيك.

أريد شخصاً من جنسي، أجعله قبلة لي، وأتوجه إليه، لأنني كنت قد
سئمت نفسي. ماذا تفهم من هذا الكلام الذي أقوله وأنني كنت قد سئمت
نفسي؟ من ثم ما دمت قد جعلته القبلة، فإنه يفهم ما أقول، ويدركه.

لا وما

تعالَ حتى نحقق في أقوال الرسول الأكثر صعوبة وغموضاً، ونبين
المقصود منها. على سبيل المثال ندقق في ألفاظها ومعانيها ونحوها
وإعرابها، فحرف لا مثلاً ليس له تأويل، وهو نفي مطلق، لكن حرف ما
يكون نفيًا وخبرًا، وله وجوه أخرى. لكنني إذا فكرت في هذه الدقائق،
كنت أفهم ما كان يفهمه بصعوبة.

إذا أردتُ الحديث مع محمد رسول الله، كنتُ أدرك الدقائق اللفظية

(١٧٤) ﴿نَبَأَنِ الْعَلِيمِ الْخَيْرُ﴾. سورة التحريم، جزء من الآية ٣.

جميعها والمعاملة، وأتحدث معه بحساب، لكنني شرعت في محبتك شجاعاً جسوراً، ولم أفكر في شيء منها. هذا الظنّ ينتج عن هذا الكلام، فأتكلم في حذر، أو يرد هذا على خاطر بسبب هذه المعاملة فأحتاط. أو أن شيئاً قَط لا يلزم المحبوب الذي يتعذب ذلك العذاب، أو يلزم العالم، أو القروي الجاهل تماماً. لكنه يَدخن مثل حطب مبلل. أقول: أشعل النار فيه، ونحن لا نريد. فإما أن يشتعل تماماً، أو ينطفئ تماماً.

يقول: هذا الكلام بكر. بلى، إنه بكر، لكن بالنسبة إليكم، أما بالنسبة إلى صانع الإبر فلا.

حق الأَم

سمع قزويني أن ملحدًا جاء، وسرعان ما وضع الأَم، وقطع رأسها. قالوا له: وماذا عن حق الأمومة؟ قال: حتى يعلم الملحدون أنه ليست هناك محابة. رأى ملحد آخر ذلك، وقال: إنه أكثر إلحادًا مني، إنني لم أكن لأفعل هذا قَط!

لا تغتر بقولي!

هذا فراق. إنني قلت كلمة ليست حقيقية، ولا أستطيع الرحيل، وإن أردتُ، فلا ينبغي الاغترار بها.

شكوت إلى وكيع سوء حفظ

فأومى لي إلى ترك المعاصي (يعني ترك الوجود)

فإن العلم فضل من إله

وفضل الله لا يُعطى لعاصٍ^(١٧٥)

فكأنه قال: الحفظ في ترك الحفظ.

اطلب الزيادة

﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾^(١٧٦). الفضل زيادة، يعني الزيادة من كل شيء. لا ترضَ بالفقه، وقل: أريد الزيادة. أريد الزيادة من التصوف، أريد الزيادة من المعرفة. كل شيء يصادفك، اطلب الزيادة منه. اطلب الزيادة من السماء. يقولون: كل شيء موجود في العالم موجود في الإنسان. فكيف توجد هذه الأفلاك السبعة في الإنسان؟ وهذه الكواكب، والشمس، وضوء القمر؟

عَلِّمْنِي

انقطعتُ عن القاضي شمس الدين، لأنه لم يكن يُعَلِّمْنِي. وقال: إنني لا أستطيع الخجل من الله. وقد خلقك الله ظاهراً وباطناً على هذا النحو، وأحسن خلقك.

(١٧٥) للشافعي م ٢٠٤هـ بيتان يشبهان هذين البيتين، ألا وهما:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يهدى لعاصٍ

الإمام الشافعي: ديوان الإمام الشافعي، اعتنى به عبد الرحمن المصطاوي، دار

المعرفة، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، ص ٧٠.

(١٧٦) ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾. سورة الجمعة، جزء من الآية ١٠.

محالفة الشيطان

أيُّ عبد ذلك الذي يحالف الشيطان ويتعهده، ولا يخجل؟ عندئذ يضحك إبليس قائلاً: من يحالف؟ يقولون هذا لِفَخْرٍ في ذلك الوقت. هذه الروضة مطمئنة، وروضة سراج أَمارة، وروضة همام لَوّامة. قلت أنت هذا، فماذا قال هو؟ وماذا قلت أنت في ذلك الوقت؟ وماذا قال هو؟

لا تضيع عمرك

ما شأنك بِقَدَمِ العالم^(١٧٧)؟ اعرف قَدَمَكَ أنت، وهل أنت قديم أم حَادث. اقضِ مدةَ عمرك هذه في تفحُّصِ حالِك، لماذا تضيع عمرك في تفحُّصِ قَدَمِ العالم؟

إن معرفة الله معرفة عميقة. أيها الأحق، هل أنت عميق الفكر؟ لو أنك صاحب فكر عميق، فكيف تكون محبباً وأنت لا تعرف المحبوب

(١٧٧) قدم العالم: يقول الغزالي: «اختلف الفلاسفة في قدم العالم، فالذي استقر عليه رأي جماهيرهم المتقدمين والمتأخرين: القول بقدمه، وأنه لم يزل موجوداً مع الله تعالى، ومعلولاً له، ومساوفاً له، غير متأخر عنه بالزمان، مساوفاً المعلول للعلة، ومساوفاً النور للشمس، وأن تقدم الباري عليه، كتقدم العلة على المعلول، وهو تقدم بالذات والرتبة، لا بالزمان».

وقد فندَّ الغزالي آراء الفلاسفة القائلين بقدم العالم، وربط قدم العالم بإرادة الله القديمة، فقد أرادت إرادة الله القديمة أن يكون هذا الكون في ذلك الوقت، وليس في وقت آخر، أي منذ كان الله ولم يكن شيء معه. ثم تعلقت إرادته القديمة بإحداث الكون فأحدثه.

انظر: تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا، دار المعارف بمصر، ص ٧٤.

ar.wikipedia.org

الذي يكمن في شرايينك وعروقك وسريرتك عياناً مثل كف اليد؟ كيف تكون عبد الله، وأنت لا تعلم سرّه وسريرته؟

إن ما فعلته معك، لم أفعله مع شيخي، وقد تركته قهراً، ومضيت. لكنه كان يقول: أنا شيخي. وكان مولانا يقول شيئاً آخر. أي والله شيخ، وانفتحت أعيننا به. لم يأتوا ما لم نحضرهم، وما دمنا لا نريد، لا يحدث.

إذا كان يوسف الصديق حيّاً، كان يحمل غاشيتك في تأويل الأحاديث. كيف لا تعلم؟ أم أنك تعلم وتغالط؟

أقوى من الأسود!

قال: إن في الطريق لصوص، وفيه فرنجة. وأنا أخاف عليك. من ثم كيف تعرفني؟ إنني كنت أسير في تلك الغابة، فلا تستطيع الأسود السير فيها. وتهب الريح على الأشجار، فتُحدث حفيفاً.

يأتي شاب لئيم، ويقول لي: ويلك! فلم ألثفت إليه قط، ولم أنظر له. صاح عدة مرات، فأهابني -ومعه بلطة لو يضربها على حجر، يتساوى بالأرض- بعد أن قال ويلك مرة أخرى، توجهت إليه، ولم أكد أقبض على سلاح حتى سقط على مؤخرته، وكان يشير بيده إليّ قائلاً: لا شأن لي بك، امض.

ذكر الروح

يقول ذلك الصوفي الراشد لمريده: اجلب الذكر من بطنك. قلتُ:

لا، لا تجلب الذكر من بطنك، بل اجلبه من روحك. فأصابته حيرة بسبب ذلك الكلام.

التجافي عن دار الغرور

كل شخص نعتني بأمره، يشيح بوجهه عن العالم بأسره، لعلنا نتجلى له، لكننا لا نلتفت إليه! قال: وما علامة ذلك؟ قال: التجافي عن دار الغرور^(١٧٨).

إننا نملك جوهرًا بداخلنا، كل شخص نبرزه له، يصبح غريبًا عن الأصحاب جميعًا والرفاق.

هناك لطيفة أخرى: فأني مجال للنبوة وأي مجال للرسالة؟ وماذا أقول عن الولاية والمعرفة؟

أتباع محمد

قال مستورو الحضرة: بماذا نظهر؟ وماذا نقول؟ وكيف نُعرف أنفسنا؟ قال: اتبعوا محمدًا، فنحن نتبعه، ونوصي باتباعه. وإلا فأني مجال للاتباع حيث حلّ مولانا؟

(١٧٨) وما علامة ذلك؟ قال التجافي عن دار الغرور. إشارة إلى الحديث: لما نزلت ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٥] قلنا: يا رسول الله، وكيف ذلك؟ قال: يدخل النور فيه، فينفسح له. فقلنا: وما علامة ذلك؟ قال: التجافي عن دار الغرور، والإجابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله.

الراوي: عبد الله بن مسعود. المحدث: الذهبي.

المصدر: تلخيص العلل المتناهية.

خلاصة حكم المحدث: فيه عبد الله بن المسور متروك.

الدرر السنية: الموسوعة الحديثية. dorar.net.

وقت الصلاة

قال خواجكي^(١٧٩): حان وقت الصلاة، وقد انشغل مولانا بنفسه. ونهضنا نحن جميعاً، ووقفنا لأداء صلاة العشاء. نظرتُ عدة مرات، فوجدت الإمام ونحن جميعاً أدركنا ظهورنا للقبلة، لأننا كنا قد انتهينا من الصلاة، وانصرفنا عن القبلة.

التواري في الظلمة

وصلت إلى الفصادين، وجال بخاطري: ما أعجب الخلق الغافلين! لقد أشرقت شمس منذ الأزل وستظل إلى الأبد. ما هو الأزل؟ وما هو الأبد؟ كلاهما صفتاك.

إنه ظهر البارحة، وسمى رأسه الأزل، وأطلق على عقبه الأبد. فأَيُّ أزل أو أبد هنا؟ لقد سطعت شمس، وشمل النور العالم بأسره، فأَيُّ مجال للشمس؟ وهؤلاء الخلق قبعوا في الظلمة، ولا يعلمون شيئاً عن النور. إن لباس الفسق عارية للبعض، ولباس الصلاح عارية للبعض. كنت أتحدث بهذا الكلام في الطريق، فكان النسيم يهب على هذا الكلام، فدخلنا بسبب الغيرة.

(١٧٩) خواجكي: من مريدي بهاء الدين ولد أبي مولانا جلال الدين الرومي، ويبدو أنه جاء بصحبته من خراسان إلى قونية، وكان على قيد الحياة حتى قدوم شمس الدين التبريزي إلى قونية. انظر: مقالات شمس تبريزي، تصحيح وتعليق محمد علي موحد، ص ٣٣٢.

السّحر والمطر

يقولون لمحمد ﷺ ساحراً، من ثم المكان الذي يذكرون فيه الله، يبطل فيه السحر، والمكان الذي يغمره نور الله، كيف ينعقد فيه السحر؟ ذلك الوقت الذي يسقط فيه المطر، يزول فيه السحر. فكيف يتأثر السّحر بأمطار الحياة وماء الحياة الذي تمطره وتثره على الخلق؟

بعد مائة سنة

كان قد قال: إن علامة فساد ذلك الشيخ هي: أنك تتردد عليه في الصحراء، فلا يتحدث أبداً عن هذه الواقعة أو عن هذا المزاح، ولا يخبر عنها. قال: إنني لا أتحدث، لأنني لا أريده أن يبقى عندي. ولما جاء إليّ، كنت أبتسم في وجهه، وأقول: طيب الله عيشكم. وقد انشغل هو بأن أسهب في الحديث عنه، ولا يلزمني أن يبقى عندي. وإنني أشرح ما حدث، فماذا أفعل له؟ ذلك الذي سوف تدركه بعد مائة سنة، أطل الله عمرك، قلته أنا كله.

كعبة القلب

هكذا هم المسلمون، وهكذا هو محمد. إنك تسيء لعابد الصنم الذي يتجه نحو حجر أو جدار منقوش، وأنت أيضاً تتجه نحو جدار! من ثم هذا هو الأمر الذي تحدث عنه محمد عليه السلام، وأنت لا تفهمه. إن الكعبة تقع في وسط العالم، وما دام أهل حلقة العالم جميعاً يتجهون إليها، يكون سجودهم نحو قلوب بعضهم بعضاً، ولما ترفع هذه الكعبة

من وسطهم، تكون سجدة ذلك نحو قلب هذا، وتكون سجدة هذا نحو قلب ذاك.

الكلام حُجة

ألا تعلم أن أي كلام أقبله، أفنده، وأنقحه؟ فالمتكلم قوي، ولا يليق به أي ضعف.

إنني لم أعتد الكتابة قط، وما دمت لا أكتب الكلام، فإنه يبقى بداخلي، ويطل عليّ في كل لحظة بوجه آخر. الكلام حجة، وقد كشف الحق تعالى النقاب عنه، فظهر جماله.

نُقِشت ألف على اللوح من حباب بحر كلام الحق. وأوحى إلى جبريل: يا جبريل الروحاني، اقرأ اللوح الرباني، هذا كلام سبحانه.

لم أكد أنتهي من الكلام، حتى فرَّ شهاب، وقال: إنني لا أطيق النظر إلى وجهك. وفرَّ. قلت: ما هذا؟ فكان يفرُّ ويقول: إنه شيء عجيب، إنه شيء عجيب!

مع أن شهابًا كان يتحدث بالكفر، لكنه كان صافيًا وروحانيًا، وأصبح روحًا محضة، وترك الطعام.

ذات يوم كنت أتحدث بالأسرار، وأكشفها، ولم أكن أريد أن ينكشف له المعنى. إنك تقول: إنه ليس عالمًا بالجزئيات، إنه عالم بالكليات، فماذا تقصد بهذه الكلّيات؟ إنني قلت: الكل، ولا أعلم أي جزء يفصل عنه. بلى، لو يقولون الجزء، لا يدخل الكل.

لا يمكن القول أبداً: إن هناك روضة، ولا توجد بداخلها شجرة، إنها لا تكون روضة، بل تكون مكرراً.

قال شهاب: إنني لا أقول: إنه ليس عالماً بالجزئيات على سبيل الانتقاص. وأضرب لك مثلاً: هناك دودة في بطني، ترقد في الحَدَث، وأنا لا أعلم بها. فأني نقصان يعتريني بسبب الجهل بها أو العلم بها؟ من ثم إنني لا أعرف اللغة الهندية، وليس عجزاً مني. لكن ماذا أصاب العربي؟ إذا سمعه الهندي، يقول: هذا أحسن! وماذا حدث للغة الفارسية؟ ولم ترد في اللغة العربية تلك المعاني واللطائف التي وردت في الفارسية بهذا اللطف والجمال!

المسلم الكامل

لا يمكن لشخص أن يصبح مسلماً كاملاً مرة واحدة عندنا، بل إنه يُسلم ويكفر ثم يسلم مرة أخرى. وفي كل مرة يبرز له شيء من الهوى، حتى ذلك الوقت الذي يصبح فيه كاملاً.

قلتُ: سأذهب هذه الليلة إلى ذلك النصراني الذي وعدته بالمجيء. قالوا: نحن مسلمون وهو كافر، فتعال إلينا. قلتُ: إنه مسلم في السر، لأن الإسلام تسليم، وليس لكم تسليم، والإسلام تسليم. قالوا: تعال، فإن التسليم يتحقق في الصحبة. قلت: ليس هناك أي حجاب أو مانع من جانبي، ولنجرب، بسم الله.

استهل أحدهم الكلام قائلاً: ﴿لَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ

وَالْبَحْرِ ﴿١٨٠﴾. فقلتُ: اسكت! فلا نصيب لك من هذه الآية، شتان بينك والبر! أراد أن يسأل، فقلت: لماذا تسألني؟ وكيف تعترض؟ إنني لا أتخذ مريدًا لي. وقد التفت حولي كثيرون، وقالوا: نصبح مريدين لك، وامنحنا الخرقه. ففررت، فتتبعوني إلى منزل، وبعثروا ما جلبوه، ولم تكن هناك فائدة، ومضيئ.

إنني أتخذ شيخًا، وألومه، ولا أتخذ مريدًا. ومن ثم ليس لكل شيخ، شيخ كامل.

ولقد تشاجرت في ذلك اليوم مع ذلك الشيخ في ذلك الجمع، ولعنته، وهو صامت. وشجبت رأسه، وهو صامت. كان أحدهم يتدحرج، ويعفر وجهه بالتراب، ويندفع نحوي. فيقول له: غلطت! غلطت! إن فلانًا مظلوم، وصبر كثيرًا، وتحمل. قال: اتركوني، إنني لست غلطانًا، هذا هو المظلوم بالمعنى الصحيح. فضجوا من أثر كلامه، وتقدم مشجوج الرأس ذلك، وكان يتسم، ويتدحرج، ويصيح.

الله معك

من أكون معه، كيف يحزن؟ وهو لا يخشى العالم بأسره.
كان يقول: لماذا صار دمك أحمر اللون؟
ما دام قد سأل؛ أجيب بصراحة، كيف صار.

(١٨٠) ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْبَحْرِ﴾.

سورة الإسراء، جزء من الآية ٧٠.

كان قلبي ينزف دماء عشقك
ولما فار الدم، خرج من رأسي

إنك جاهل

يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته^(١٨١). يقولون: إنه شعر لأبي العلاء
المعري^(١٨٢)، وليس الأمر كذلك، وليس القول قوله، لأنهم يقولون: إنه
كان شخصًا قويًا. وقد قال الحكيم:

(١٨١) يا خادم الجسم كم تسعى لخدمته.

مصراع من بيتين لأبي الفتح البستي م٣٨٧هـ. قال فيهما:

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته

لتطلب الريح في ما فيه خسران

أقبل على النفس فاستكبل فضائلها

فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان

أبو الفتح البستي: ديوان أبي الفتح البستي، تحقيق درية الخطيب، لطفي الصقال،
مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق ١٤١٠هـ-١٩٨٩م، ص ١٨٣.

(١٨٢) أبو العلاء المعري: هو أحمد بن عبد الله سليمان التنوخي المعري، الشاعر
والفيلسوف. ولد في معرة النعمان سنة ٣٦٣هـ، وتوفي فيها سنة ٤٩٤هـ. نظم أبو
العلاء الشعر وهو في الحادية عشرة من عمره، ورحل إلى بغداد سنة ٣٩٨هـ، فأقام
بها سنة وسبعة أشهر، وكان يلعب الشطرنج والنرد، ويلبس الخشن من الثياب،
ولم يأكل اللحم خمسًا وأربعين سنة، وآثر العزلة في آخر عمره. وله العديد من
المؤلفات، مثل: الأيك والغصون، تاج الحرة، رسالة الملائكة، شرح ديوان المتنبّي،
ورسالة الغفران إضافة إلى ديوان شعر.

انظر: شمس الدين محمد بن ملك داد تبريزي، مقالات شمس تبريزي، بتصحيح
أحمد خوشنويس عماد، ص ٢٨٧.

الديوان: العصر العباسي، أبو العلاء المعري. aldiwan.net.

لقد علمتُ أنني جاهل

لما بلغ علمي تلك المكانة^(١٨٣)

ويتضح من كلامه أنهم عرضوا عليه شيئاً، فأدرك أن ما قاله من الأول إلى الآخر، لم يكن شيئاً.

أهل المشاهدة

إن مشاهدة الحق هي أثر مروءة أهل المشاهدة. فاخرجوا، اخرجوا الآن، لي شاهد الله تعالى نفسه، وماذا يحدث. فهو يشاهد نفسه، حين ينظر إلى العبد. وفقد موسى عليه السلام صوابه متأثراً بذلك التجلي. كان فلان يقول: ما عرفناك، ويعني ما عرفت نفسي، ويقول: ما عبدناك، ويعني ما عبدت نفسي.

فوق الجبل

كان ذلك السرور، لأن مسكيناً لم يملك قطعة خبز، وسوف يهلك من الجوع هذا العام. إنه هزل، لا. إنه وجد مائة دينار هذا العام، فُسِّرَ.

(١٨٣) الأصل الفارسي للبيت:

تا بدانجا رسيد دانش من

که بدانسته ام که نا دانم

والبيت للشاعر المعروف شهيد بن حسين البلخي الذي كان من حكماء عصره ومتكلميه المشهورين، وتوفي سنة ٣٢٥هـ. انظر: شمس الدين محمد بن ملك داد تبريزي، مقالات شمس تبريزي، بتصحيح احمد خوشنويس عماد، ص ٢٨٧.

لكن ذلك الأمير المدلل اللطيف الذي وُلِدَ في سعادة ومُلْك، وكبر في المُلْك، يسخر من سرور المسكين هذا.

إن تكبر أهل الدنيا وطلبهم للرفعة يشبه ما قاله رستم للشيطان الأبيض. وقد قال له: ألقى جسدي فوق الجبل، حتى تبقى عظامي فوق قمته، ربما سمع شخص عن صيتي، فلا ينظر لي باحتقار!

في الطريق إلى الحج

اعتري شخص حال وجد في حلقة القُرَّاء، وكان ذلك الشخص معروفاً بالشر والفسق والفجور واتهام الناس والاعتداء عليهم؛ إلى حد أن الغرباء وأهله كانوا يكون دماً بسببه، وقد دفع أسرته إلى اليأس من الحياة ومن العالم، وكان يصيح قائلاً: إنني لا أملك طبع الإنسان، أيها العيال، دعكم مني. قال العيال: إننا كنا نعاني منك كل هذا العناء، لأننا كنا نتمنى مثل هذه اللحظة، ورافقتناك في وقت الشقاء، فهل نهجرك في وقت الرخاء؟

قال: إنني عازم على الحج، وتتطلب تلك الرغبة عدم الاستقرار، والسفر في البداية، ولو أن المطلوب لا مكان له.

لما اجتازوا البادية، أدمى بطن هذا الشخص، فكان ينزل من فوق الجمل في كل لحظة، ويتطهر. حتى مضت القافلة. لما ثاب إلى رشده، وجد القافلة قد غابت، فقفز، وهرب خوفاً على نفسه، فأصابته ساقه أجمة شوك، وشجتها، فلزم مكانه.

كان يبكي ويناجي الله قائلاً: يا مغيث التعساء، لا طاقة لي بالجرح، ولا حاجة لك بالشرح. وكان يفقد الصواب تارة بسبب الهيبة، وينشغل

بالمناجاة تارة أخرى، حتى حلَّ الليل، فكفَّ عن المناجاة بسبب اليأس.
وازداد يأسُهُ يأسًا، وتراكت الظلمة على الظلمة.

وفي تلك الأثناء، رأى شخصًا كان يأتي بمفرده من ناحية الصحراء.
فقال: إنه الخضر^(١٨٤) أو إلياس^(١٨٥)! ولما اقترب منه، ولحق به في لحظة،
قال في نفسه: إن هذا السير ليس كسير الناس، ربما هو ملك مقرب! وقال:

(١٨٤) الخضر: هناك خلاف في اسم الخضر ونسبه ونبوته، فقد قيل: إنه الخضر بن آدم عليه السلام لصلبه، ونسيء له في أجله حتى يُكذَّب الدجال. وقيل إن اسمه هو: خضرون بن قابيل بن آدم، وقيل: بليان بن ملكان بن فالغ بن سام بن نوح عليه السلام، وقيل: أرميا بن حلقيا، وقيل كان ابن بعض من آمن بإبراهيم الخليل، وهاجر معه. وكنيته أبو العباس ولقبه الخضر. أما عن سبب تسميته بالخضر، فقد قال البخاري: حدثنا محمد بن سعيد الأصبهاني، حدثنا ابن المبارك، عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء. وقال الخطابي: إنما سمي الخضر خضرًا لحسنه وإشراق وجهه. أما عن نسبه فقد قيل: إن أمه رومية، وأباه فارسي. وقيل إنه كان من بني إسرائيل في زمان فرعون. وقال ابن جرير: إنه كان متقدمًا في زمن أفريدون بن أثفيان، حتى أدركه موسى عليه السلام. ويعتقد البعض أنه باقٍ إلى يوم القيامة، لأن أباه آدم دعا له بطول الحياة، أو لأنه شرب من عين الحياة. وقيل إن الخضر أدرك حياة النبي ﷺ، ومات بعده.
انظر: ابن كثير: قصص الأنبياء، ص ٥١٨-٥٢٤، ٥٣٩.

(١٨٥) إلياس: هو إلياس النشبي، ويقال: ابن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون. وقيل: إلياس بن العازر بن العيزار بن هارون بن عمران. وقد أرسل إلى أهل يعلبك غربي دمشق، ليدعوهم إلى عبادة الله عز وجل وترك عبادة الأصنام.
وقيل إن الخضر وإلياس كانا أخوين، وكان أبوهما ملكًا. وروى ابن عساكر عن طريق هشام بن خالد عن الحسن بن يحيى الخشني عن ابن رواد، قال: إلياس والخضر يصومان شهر رمضان ببيت المقدس، ويحجان في كل سنة، ويشربان من ماء زمزم شربة واحدة تكفيهما إلى مثلها من قابل.
انظر: السابق، ص ٥٢٧، ٥٣٢، ٥٤٠.

يا إلهي، أغثني في وقت اليأس هذا بحرمة هذا العبد المقرب.

خلاصة القول، لما مسح بيده على رجله، شُفيت، وأوصله إلى القافلة. فطوى بيديه ذيل ثوبه في لحظة، وكان يقول: بحق ذلك الإله الذي اختارك، ووهبك هذه العزة والجلالة؛ تقول: من أنت؟ فكان يسحب ذيل ثوبه، ويقول له: دعني. وقال في النهاية: أنا ذلك الذي يقول عنه المقرئون في المحافل، والأئمة في المحراب، والأطفال في الكتاب: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعَنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾^(١٨٦). وما دام أنه يعتقد في مثل هذا الشخص اعتقادًا صادقًا، تظهر مثل هذه العجائب والبركات، ويطمئن له.

لما كان أبو يزيد يذهب إلى الحج -وقد كان مولعًا بالذهاب بمفرده- لم يكن يريد أن يصحب أحدًا. ذات يوم رأى شخصًا، كان يتقدم أمامه، نظر إليه، وقد اعتراه ذوق من خفة سيره، وكان مترددًا في موقفه، وقال في نفسه: عجبًا، هل أرافقه، وأنخلي عن عادة السير بمفردي؟ إنه رفيق طيب للغاية.

وكان أبو يزيد يردد: الرفيق الأعلى. أكون رفيقًا للحق فحسب. وكان يدرك أيضًا أن ذوق رفقة ذلك الشخص يفوق ذوق الذهاب إلى الخلوة. كان قد بقي في هذه المناظرة مع نفسه، وقال: أيهما أختار؟ رجع ذلك الشخص إلى الوراء، وقال: تحقق أولاً من أنني أقبل رفقتك! فاندesh قائلاً: كيف أعرب ذلك الشخص عما جال بداخلي؟ وأسرع ذلك الشخص الخطو.

(١٨٦) ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعَنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾. سورة ص، آية ٧٨.

الرخيص والغالي

قالوا لخوارزمشاه: إن الخلق يستغيثون من القحط، لأن الخبز غالٍ.

قال: كيف؟ كيف؟

قالوا: إن مَنَّا من خبز الشعير بدانقين.

قال: وماذا يساوي دانقان من الذهب؟

قالوا: الدانقان يعادلان الكثير.

قال: تف، تف، هذا شيء خسيس، ألا تخجلون؟

كان الخبز رخيصًا بالنسبة إليه، وكان غاليًا في رأيه في ذلك الوقت الذي كانوا يقولون فيه: إنهم يشبعون شرهًا بمُلْكِهِ كله. فكان يخشى حينئذ، ويقول: أشبع بطنًا مرة واحدة، فمن أين أ جلب أملاكًا كثيرة؟ ويلزمني عمر، حتى أحصل عليها.

وهكذا يحدث في الدين، تُهَوِّلُ أنت صفة الخلق ومكانتهم، وتكون هينة بالنسبة إلى شخص آخر. إن قوسه لا يرمي السماوات بالسهم.

حمل الأمانة

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ ﴾ (١٨٧). قالت السماوات والأرضين: إنَّ تحمُّل

(١٨٧) ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ ﴾. سورة الأحزاب، جزء من الآية ٧٢.

ويقصد شمس الدين التبريزي بالأمانة معرفة الله تعالى.

انظر: شمس الدين محمد تبريزي، مقالات شمس تبريزي، تصحيح محمد علي موحد، ص ٥٢٨.

هذه الأمانة ليس من شأننا، لأنهم لم ينظروا إلى التوفيق. لذلك كانوا يقولون: مع أن القوس شديدة، حين نمسك بها، فإن هناك شخصًا خلفنا يرمي بها. تلك فطنة محمد والمسلمين وذاك توكلهم.

ليتني أراه!

إنك لا تقول: كيف يعرف هذا الشخص الذي يصف محمدًا أو عيسى أو يصف شيخًا صفاتهم؟ ربما كان هو من يصف نفسه! كان أحدهم يصف شيخًا في وقت ما، ويتحدث عن أسرارهِ، وأحواله. فاعتري شخصًا حال وجد، وقال: ليتني كنت أراه! فقال له آخر: أيها الأحق، لماذا لا ترى من يتحدث عن صفته؟ ربما كان هو نفسه، هو، ويتخفى.

السلوك والوصول

مع أن إبراهيم قد اهتم بشيء لا يليق بالطريق، فكيف يُضَيِّع نظرنا الأولى له؟ فكل شخص وقع نظرنا عليه في البداية، وقال شيئًا لنا على سبيل الجفاء، قلناه نحن لأنفسنا. فما شأنه؟ وما دام حال الرضا اعتراه، فإنه لم يكد يطويه حتى سلك الطريق إلى الله تعالى، ولم يبلغ حلقة باب الله بعد، لكن السلوك والوصول سواء.

طبائع الخلق

اجتنب الخلق رويدًا رويدًا، فالحق ليس له أي صحبة بالخلق أو تعلق. لا أعلم ماذا يحدث منهم. لماذا يتركون شخصًا؟ ولماذا يتقربون من شخص؟

إنك تحفظ سيرة الأنبياء، وتتبعهم. وقلما اختلط الأنبياء؛ إنهم ينشغلون بالحق تعالى، ولو أن الخلق كانوا قد التفوا حولهم في الظاهر، ولكلام الأنبياء تأويل، ربما يقولون: اذهب. واذهب تلك معناها لا تذهب في الحقيقة.

أبو علي بن سينا شبه فلسفي، وأفلاطون فلسفي كامل.
إنه يدعي العشق. فكن منصفًا، تكن مقبولًا، وتكن عاشقًا، هل هذا كلام المقبولين؟ يجب أن تُخمد نار غضبك.

الماء المثلج

قرأت حكاية في كتاب في طفولتي، أن وقت النزاع قد حان لشيخ، فالتف حوله المريدون والأتباع، وكانوا يريدون أن ينطق بالشهادة، ويقول: لا إله إلا الله. فأشاح بوجهه عنهم، فاتجهوا إلى الناحية الأخرى، وكانوا يلقنونه الشهادة، فأشاح بوجهه عنهم. لما ألحوا عليه، وتضرعوا له، قال: لن أقول. فعلا الصراخ والعويل من المريدين، وقالوا: ما هذه الواقعة؟ وما هذه الظلمة؟ كيف سيكون حالنا بعد ذلك؟ وتضرعوا إلى الله وابتهلوا.

ثاب الشيخ إلى رشده، وقال: ما الواقعة؟ وماذا أصابكم؟ فشرحوا الحال. قال: لا علم لي بهذا. لكن الشيطان كان قد جاء، وكان يُحرِّك قَدَح ماء مثلج أمامي، ويقول: هل أنت عطشان؟ فكنت أقول: بلى. كان يقول: قل إن لله شريكًا، حتى أُنحك الماء. فأشحت بوجهي عنه. فجاء إلى

هذه الناحية، وقال كذلك، فأشحت بوجهي عنه.

أملك عيناً تمطر الدَّرَّ في النهار قبلك

وأأمل بها السماء ليلاً حتى السحر

ولا أملك تلك العين حتى تسفك دمي

ولو أنك تسفكه، فإنني أملك العين من أجل ذلك

هذا صحيح، لكن لما يحل أجل عبد الله وخاصته، كيف يستطيع

الشیطان أن يطوف حوله؟ والملائكة تحفه!

في زاوية المسجد

يقولون: إن عمر رضي الله عنه ضرب الشيطان في إحدى عينيه، فأصابها بالعمى. إن للقول معنى آخر غير المعنى الظاهر، وسراً يعلمونه. وإلا فإن هذا الشيطان ليس شيئاً مُجَسَّماً. إن الشيطان يجري في بني آدم مجرى الدم في العروق.

جاء الشيطان إلى عمر ذات يوم، وقال له: تعالَ يا عمر، حتى أظهِر لك العجائب. واصطحبه إلى باب المسجد، وقال: يا عمر، انظر من الشق. فنظر. قال الشيطان: ماذا ترى يا عمر؟ قال: أرى شخصاً قد وقف يصلي. قال الشيطان: أمعن النظر مرة أخرى. فنظر. قال: ماذا رأيت؟ قال: أرى الشخص نفسه يصلي، وقد نام شخص آخر في ركن المسجد، وانسحب. قال: يا عمر، أقسم بالله الذي أعزك باتباع محمد، وخلصك مني، إذا لم أخف من ذلك النائم، ولم أفكر فيه، لكنت أفعل شيئاً بهذا

المُصَلِّي، ما لم يفعله كلب جائع بكيس طحين!

لا يحرق هذا الشيطان أي شيء سوى عشق العارف. ولا تقيد
الرياضات التي يرتاضها كلها، بل تقويه، لأنه خُلِق من نار الشهوات،
والنور يُخمد النار. نورك أطفأ ناري.

إنه يقول: لا أريد أن تُداس بعوضة بسبي، أو تُؤذى. وهو يعصي
الله، ويؤذي عبد الله.

إننا ما زلنا غير مؤهلين للكلام، ولينا كنا مؤهلين للسمع، وينبغي
علينا القول السديد، والسمع التام.

هناك ختم على القلب، وختم على اللسان، وختم على الأذن.
إنه ينشر قليلاً من الضوء، لو يشكر، يزيده. والشكر هو أن تقول
بلسان الحال: أرنا الأشياء كما هي. فيجيب: ﴿لَيْنَ شَكَرْتُمْ
لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ (١٨٨).

شمس لا تغرب!

لقد جئتُ حتى أقول لك في غاية الشفقة: لنذهب إلى الشيخ في
الخلوة مرة أخرى، فأنشدتَ هذين البيتين:
لو أجلس مع شخص آخر وأداعبه
فإنني لا أكوي قلبي بمحبة أحد أبداً

(١٨٨) ﴿لَيْنَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾. سورة إبراهيم، جزء من الآية ٧.

بلى، حين تغرب الشمس عن أحد

يضع السراج أمامه بدلاً منها

قلت في نفسي: إنه يقول الليل. وقد غربت الشمس. وأنا أرى أنها
لم تغرب، والشمس باقية في مكانها.

هل تسمع؟

سأل شخص أحدهم: هل فلان مؤهل؟ قال: كان أبوه مؤهلاً، وكان
فاضلاً. قال: إنني لا أسأل عن أبيه، بل أسأل عنه. قال: كان أبوه مؤهلاً
للغاية. قال: ألا تسمع ما أقول؟ قال: ألا تسمع أنت؟ إنني أسمع، ولست
أصم، وأعرف عن ماذا تسأل.

الحجاب الغريب

لا يستطيع الوعظ أمام الواعظ، أو الغناء أمام مغنٍّ، إلا أستاذ عظيم.
هذا الحجاب غريب، إذا لم يفتح عليك بفتح، فسوف يتحقق ذلك،
وما دمت تتوجه إلينا، ننعم عليك بالفتوحات. ويتضح أن كل الحجب
التي حجبتك كانت من طرفك، وفي كل مشكلة تعترضك، عاتب نفسك
قائلاً: أنا سبب هذه المشكلة.

إن الله تعالى يعامل العبد بما يليق بمعاملته، وما يفعله معه، يقابله
بمثل ما فعل. ومع هذا كله هناك أشياء حسنة ومسررات على حد سواء.
يتحدث أحدهم عن حب الدنيا، وهو في الحب عينه. إن حب الدنيا
هو الذي هو فيه.

لا تطلب اللوز!

لو يعطونني هذا الطفل، أربيه على ألا يطلب هذا أو ذاك. وكل من يراه كذلك، يقول: إنه ملاك، إنه ليس إنساناً. لما يطلب مني اللوز، أُلقي إليه لوزة، وأسأله: هل أنت جوعان في الحقيقة؟ فلتتناول الخبز، وإلا فلا تهزل.

مثل قط يتغوط، فيضربونه، ويمسحون وجهه بالغائط.

إن طعام الإنسان هو الخبز في وقت، والحساء واللحم في وقت آخر، والباقي لعب.

هل أتركه يلعب منذ الصغر؟ ثم يكبر، ويعرف في ذلك الوقت! على هذا النحو، أربيه في مدة وجيزة. والعجيب أنه لا يمرض كما أنه لا يموت.

يضع لقمة في فمه من دون إذن، فيقبضون على أصابعه، ويخرجونها من فمه، لأنه حين يعتاد على العناد، لا تفيده النصيحة. وربما تؤذيه أو تضربه حتى يموت. إن غرضي من هذه القسوة هو أن يؤدب نفسه.

بلى، هناك وقت تضرب فيه الأطفال عبثاً، لا من أجل التأديب، بل من أجل قهر النفس.

الأرض الآمنة

يشق أحدهم الأرض. وقد جاء آخر، وسأله: لماذا تُخَرَّب هذه الأرض الآمنة؟ وهو نفسه لا يعرف العمارة من الخراب. إذا لم يكن

يخربها، لصارت الأرض خراباً ليس فيه عمارة.

هذا هو الطب

أصيب بارتفاع الحرارة عن قصد، وتعرق، ولأن المسام مفتوحة؛ تتحلل الأشياء الموجودة، ويخرج التعب مع العرق. هذا هو الطب. إذا لم يكن من ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾^(١٨٩). كيف كان شأن الأولياء؟ لم يكن أمرهم يستقيم في أربعين ألف سنة. إذا كان عشرون عمراً يتصل بعضهم ببعض، لما كان يكفيهم.

استقامة النفس

نخرج، ونُذِل هذه الشوارب، ولن نغزو. فالكافرون يخافون من شواربنا. والكافر في باطنه لو أصبح كل شعرة من هذا الشعر رمحاً، لا يخاف. إنها ليست ملكي. ولقد استقام أمر نفسي منذ مدة طويلة.

شرح المعاني

قال: ما معنى شر الناس من أكل وحده؟ قلت: إن شرح هذا المعنى للناس صعب. وقوله: ﴿وَتَقَلُّبُكَ فِي السَّجْدِينَ﴾^(١٩٠). أيُّ ساجدين؟ إنهم ليسوا الأنبياء السابقين ولا الصحابة ولا التابعين، ولا الأربعمائة والأربعين ولياً.

(١٨٩) ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾. سورة النمل، جزء من الآية ٦.

(١٩٠) ﴿وَتَقَلُّبُكَ فِي السَّجْدِينَ﴾. سورة الشعراء، جزء من الآية ٢١٩.

الفتح

بُشرت ببشارة، وإنني أتعجب من هؤلاء الناس الذين يسرون من دون تلك البشارة. إذا كانوا يضعون لكل واحد منهم تاجًا ذهبيًا على رأسه، كما شعر بالرضا. فماذا نفعل نحن له؟ يجب أن يتحقق ذلك الفتح في باطننا. وليتهم كانوا يأخذون ما نملكه، ويمنحونا ما هو ملك لنا في الحقيقة.

ماذا تريد؟

كانوا يقولون لي في الصغر، لماذا أنت متضايق؟ هل يلزمك ثوب أم فضة؟ فكنت أقول: ليتكم تأخذون هذا الثوب الذي أملكه أيضًا.

الطعام والماء والنفس

حديث الصوفي الذي قال: أُقسِّم بطني ثلاثة أقسام: ثلث للطعام وثلث للماء وثلث للنفس^(١٩١). فقال ذلك الصوفي الآخر: إنني أقسم بطني قسمين: نصف للطعام ونصف للماء، والنفس لطيف. وقال ذلك الصوفي الثالث: إنني أملأ بطني بالطعام تمامًا. والماء لطيف، يجد

(١٩١) إشارة إلى الحديث: ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه، حسب ابن آدم أكالات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه.

الراوي: المقدم بن معدي كرب.

المحدث: محمد جار الله الصعدي.

المصدر: النوافح العطرة.

خلاصة حكم المحدث: حسن.

التخريج: أخرجه الترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد، واللفظ له.

الدرر السنية: الموسوعة الحديثية. dorar.net.

طريقه، والنفس يريد أن يصعد، ويريد ألا يصعد.

لكن هؤلاء يقولون أيضًا: إننا نملأ البطن بالمحبة، ولا نملك شيئًا آخر. والوحي ذاته شيء لطيف، يُعظَّم نفسه. إنه يشبه الروح، لو يلزمه البقاء يبقى، وينصرف إذا أراد.

كيف تتحقق المحبة؟

عجبًا، بأي طريقة يعرفون محبة الله هذه؟ هذا الإله الذي خلق السماوات، وخلق الأرض، وصنع هذا العالم. هكذا تحدث محبته بسهولة، فتدخل عنده، وتجلس أمامه، وتحدث وتستمتع.

أتظن أنه دكان تتماج^(١٩٢) (حريرة)، تدخله، وتحتسيها؟

كان أيوب عليه السلام يصبر على كل هذا القدر من الدود حتى يحظى بهذه السعادة. يقولون: إنه كان اثني عشر ألف دودة. وأنا لا أقول ذلك، ولم أحصها. وكأنهم كانوا قد أحصوها.

يقولون: وقعت دودة من ذلك الدود على الأرض، فكان أيوب يحملها، ويضعها على جسده. وكانت أشعة الشمس تنزل، وتتخلل نصف جسده، وتنبعث من النصف الآخر.

(١٩٢) تتماج: حساء يصنع من الدقيق.

انظر: شمس الدين محمد تبريزي، مقالات شمس تبريزي، تصحيح محمد علي موحد، ص ٥٣٠.

أطيب لي من الموت!

أقرّ جالينوس^(١٩٣) بهذا العالم، وهو لا يعرف ذلك العالم الآخر. ويقول: إذا لم أمت، ويجعلوني في بطن بغل، وأنظر إلى هذا العالم من فرج البغل، يطيب لي ذلك أكثر من أن أموت.

من أجل دائق

مثلما شعر ابن ذلك الكردي بالضيق. فقال له أبوه: لمت! لماذا أنت متضايق؟ قال: قتلتُ شابًا، وجدتُ معه حزامًا، فظننت أن لديه مالا. فكان دائقًا^(١٩٤). نهض الأب، وصفعه على وجهه ثلاث صفعات شديدة، وأراد قتله، وقال: أيها المخنث الزاني، ألا تقتل ستة بدينار؟

بسبب الريح

حين تثقل السفينة، ينظر الملاحون إلى أضخم ركابها، ويقطعون كتفه، ويلقونها في البحر. يصيح أحدهم: ما هذا المشلول؟ فيقولون: لا شيء، لقد سقطت قطعة منه في البحر بسبب الريح.

(١٩٣) جالينوس: من علماء اليونان وأطبائها، عاش في القرن الثاني الميلادي، وظهر في سنة ١٥٠م، وأضاف إلى علم الطب في عصره، وترك كتبًا كثيرة في علم الطب، وكان يعد علم النجوم والفلك والهيئة علمًا مؤثرًا في الطب وأمراض النساء.

انظر: شمس الدين محمد بن ملك داد تبريزي، مقالات شمس تبريزي، بتصحیح احمد خوشنويس عماد، ص ٢٩٦.

(١٩٤) الدائق: الدائق سُدس الدرهم.

انظر: السابق، ص ٢٩٧.

ضوء على الجدار

انبعث ضوء من خلف حجاب الإخلاص، وانعكس على الجدار. وانشغلنا نحن به طوال اليوم. إن ذلك الضوء الذي ينبعث في القلب شيء وذلك الذي ينعكس على الجدار شيء آخر. يظهر نفس الحق بلا شك، فيسجدون. ويسن السكين إلى حد أن السيف الهندي لا يبلغه.

همام الدين

أين همام الدين؟ كان يظهر في ذلك اليوم، فطاب ذلك لي. تلك المحبة وذلك الإخلاص اللذان كان يبيدهما، جعلاني لم أكف عن النظر إليه. وقد حدثت تلك الموانع، وعلمنا أنها من طرف الآخرين، وليست من طرفه. يدفعها في العاقبة. لكن وقتاً يمضي، لو يعلم ذلك الشخص ما يفوته في انقضاء ذلك الوقت! ﴿وَمَا كَانُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ (١٩٥)، ما دمت في عذاب وفراق. ولكن حين يكون الله معك، يمكر عليك، وإلا فإن غفلة القلب هذه هي أسوأ عذاب.

الخبز ذو المسامير

في الجيش يبيعون خبزاً به مسامير. فيقول العاقل: تناول الخبز، ودُق المسمار في النعل. ويقول الأحمق: دُق المسمار في جبهتك. وبيعون الخبز والتابوت معاً أيضاً. يقول: ماذا أفعل بالتابوت؟ فيقولون: إنك ستموت ذات يوم، والخبز هناك غالٍ. إنهم يبالغون في الأمر!

(١٩٥) ﴿وَمَا كَانُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾. سورة الأنفال، جزء من الآية ٣٣.

الجهاد والهداية

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾^(١٩٦). لو أنك تقرأها بتقديم وتأخير، فكيف تقرأها؟ تقرأها على هذا النحو: والذين هديناهم سبلنا جاهدوا فينا. وهذا هو المراد. وإلا فإن هؤلاء الذين جاهدوا في هذا السبيل، قد جاهدوا من دون هدايتنا. وحيثُ هديناهم حتى جاهدوا بهدايتنا. ومن ثم لماذا يكرر لنهديهم؟ يقولون: لم يرد على لسان الرسول. والذين جاهدوا فينا، أي خدمة ظاهر جسمنا. لنهديهم سبلنا، أي سبل أرواحنا وحقائقنا.

إنني صائم

صُم الاثنين والخميس. وأقم مكان النفس في يوم غير معهود، وقل: إنني صائم. فيشق الأمر على النفس، وربما تُسلم ذات يوم على حين غرة. كلموا الناس على قدر عقولهم^(١٩٧)، لا على قدر عقولكم. قال: ما النبوة؟ وما حقيقتها؟ كيف أمتثل للنبوة؟ هل انقرض الناس؟ قال: ما الإباحة؟ قال: الإباحة هي: كلموا الناس على قدر عقولهم.

(١٩٦) ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾. سورة العنكبوت، جزء من الآية ٦٩. (١٩٧) كلموا الناس على قدر عقولهم: جاء في كشف الخفا للعجلوني: أُمِرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم. رواه الديلمي بسند ضعيف عن ابن عباس مرفوعاً، وفي اللآلئ بعد عزوه لمسند الفردوس عن ابن عباس مرفوعاً. قال: وفي إسناده ضعيف ومجهول.

ملتقى أهل الحديث. www.ahlalheeth.com.

لا تجلد بقوة

كان يتردد كثيرًا في كلام الشيخ محمد^(١٩٨): إن فلانًا أخطأ، وفلان أخطأ. وكنت أراه مخطئًا في ذلك الوقت، فكنت أظهر له ذلك في بعض الأوقات، فكان يطأطئ رأسه، ويقول: يا ولد، إنك تجلد بقوة!

لقد كان جبلاً، جبلاً! ليس لي أي غرض عنده، لكن مائة ألف مثله يسقطون كلما أدير عجلة المغزل، ويقعون.

كان حال يعتريه على سبيل المثال، وكان يحكي عن حاله ذلك، وكنت أشرح له كيفية الثبات في هذا المقام.

اتفقنا ذات يوم على أن كل حديث له نظير في القرآن، يكون حديثًا صحيحًا. فروى هو حديثًا، وقال: أين نظيره في القرآن؟ فأدرت أن حالًا اعتراه في تلك اللحظة، وأردت أن أحيله من التفرقة^(١٩٩) إلى الجمع^(٢٠٠)، بكلام يناسب سؤاله هذا، فقلت: ذلك الحديث الذي ترويه

(١٩٨) الشيخ محمد: المقصود محيي الدين محمد بن عربي الطائي الأندلسي صاحب الفتوحات المكية، الذي التقى به شمس الدين التبريزي في دمشق، والذي توفي سنة ٦٣٨هـ، ودفن في جبل الصالحية بدمشق.

انظر: شمس الدين محمد بن ملك داد تبريزي، مقالات شمس تبريزي، بتصحيح أحمد خوشنويس عماد، ص ٢٩٨.

(١٩٩) التفرقة: التفرقة هي تَوَزُّع الخاطر للاشتغال من عالم الغيب بأي طريق كان. د. أنور فؤاد أبو خزام، معجم المصطلحات الصوفية، ص ٦٠.

(٢٠٠) الجمع: الجمع اتصال لا يشاهد صاحبه إلا الحق، فمتى شاهد غيره فما جَمَعَ. والتفرقة شهود لمن شاء بالمباينة... وأشاروا بالجمع إلى تجريد التوحيد، وأشاروا بالتفرقة إلى الاكتساب، فعلى هذا لا جمع إلا بتفرقة. ويقولون فلان في عين =

فيه خلاف، وهل هو حديث أم لا؟ لكن أين نظير هذا الحديث: «العلماء كنفس واحدة» في القرآن؟ فظن أنني أسأله، وأجاب بسرعة قائلاً: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (٢٠١). و﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (٢٠٢). بعد ذلك فكر في نفسه، وعرف أن غرضي لم يكن السؤال، بل كان شيئاً آخر. فيقول: يا ولد، إنك تجلد بقوة. كان يقول: يا ولد في البداية، وكان يقول: يا ولد في النهاية، ويضحك. يعني أي مجال للولد؟!

إجابات المصطفى

في كل مرة كانوا يسألون المصطفى ﷺ ما الإيمان؟ كان يجيب إجابة توافق حال السائل، وتناسبه.

فقال ذات مرة: المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه (٢٠٣).

= الجمع يعنون استيلاء مراقبة الحق على باطنه، فإذا عاد إلى شيء من أعماله عاد إلى التفرقة. فصحة الجمع بالتفرقة، وصحة التفرقة بالجمع. فهذا يرجع حاصله إلى أن الجمع من العلم بالله والتفرقة من العلم بأمر الله، ولا بد منهما جميعاً. قال المُرِّين: الجمع عين الفناء بالله، والتفرقة العبودية متصل بعضها ببعض. د. أنور فؤاد أبو خزام: معجم المصطلحات الصوفية، ص ٧٠. (٢٠١) ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾. سورة الحجرات، جزء من الآية ١٠. (٢٠٢) ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾. سورة لقمان، جزء من الآية ٢٨. (٢٠٣) المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

إشارة إلى الحديث: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه.

الراوي: عبد الله بن عمرو.

المحدث: البخاري.

=

وقال مرة أخرى: المسلم من أقام الصلاة وآتى الزكاة.

إنا أرسلناك شاهداً

نحن نتوسل إلى الله تعالى، ولسنا مساكين. نحن نتدبر عالمنا. إنك تعرف الألف، وتعلم القرآن كله. ﴿وَالسَّمَاءَ بَيْنَهُمَا بِإَيُّدٍ﴾ (٢٠٤). بنيناها حتى لا يقولوا: إنه قديم، ولا أول له. أعدم كل شيء، ثم أوجده مرة أخرى، ليشهد على المعاينة. إذا رأيت الشمس فاشهد، ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ (٢٠٥).

هذه هي طريقتي

مع كل هذا الاعتقاد الذي اعتقده القاضي شمس الخونجي (٢٠٦) بي، قلت له: سوف أذهب، وأفعل شيئاً، ما دمت لا تُعلمني. فقال: إنني هكذا كنتُ أربي. قلتُ: إنني لا أنجز أي عمل. قال: يا بني، هل تستطيع أن تنجز عملاً مع مثل هذا الاستغراق ورقة الحال؟ وكان الفقهاء يتعجبون

= المصدر: صحيح البخاري.

خلاصة حكم المحدث: صحيح.

التخريج: أخرجه البخاري ومسلم مختصراً.

الدرر السنية: الموسوعة الحديثية. dorar.net.

(٢٠٤) ﴿وَالسَّمَاءَ بَيْنَهُمَا بِإَيُّدٍ﴾. سورة الذاريات، جزء من الآية ٤٧.

(٢٠٥) ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾. سورة الأحزاب، جزء من الآية ٤٥.

(٢٠٦) الخونجي: نسبة إلى قرية خونج من القرى التابعة لتبريز.

انظر: شمس الدين محمد بن ملك داد تبريزي، مقالات شمس تبريزي، بتصحيح

احمد خوشنويس عماد، ص ٢٩٩.

مني قائلين: إنه لم يأمره بأن يعمل مع هذا المقام والسلطنة.
قلت لنفسي: آه، أصابك الضرر، وتحثيني على العمل. كان صبح
النوى قد اقترب، وعاد. إنه ليس هذا الصبح الذي يتحدث عنه اللصوص
جميعاً.

العلم والعقل

قال: إنني أعلم أنه خبيث، لكنني لا أستطيع منعه. كيف يكون هذا
الكلام؟ إنني أعلم أن هذا البحر غريق، وألقي نفسي فيه. أو أن هذه النار
مُحرقة، أو أن مائة سهم في هذا الجب، أو أن هذا شق ثعبان، أو أن هذا
سُم الهلاهل، أو أن هذه الصحراء مهلكة. أعلم كل هذا، وأمضي. فلا
تمضٍ ما دمت تعلم، من ثم إنك لا تعلم كيف يكون العلم. هل هذا هو
العقل؟ كيف يجوز أن يُقال لهذا علم وذاك عقل؟

لقد تحدثت إليك كثيراً، ونصحتك، ووعظتك. وإذا كنت أتحدث
على الملاء في المدينة، لكان يتبعني مائة ألف، ولكان الخلق يصبحون
مريدين لي، ولكانوا يصرخون، ويبعثون شعورهم، ويضحون بأرواحهم
وأموالهم العزيزة. ولم يؤثر فيك كلامي أي تأثير، ولم يلن قلبك ذلك
الشبيه بالحجر. ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً﴾ (٢٠٧).

(٢٠٧) ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً﴾. سورة البقرة، جزء من الآية ٧٤.

كلام الله

الخلاصة: إنني لا أتبع محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم إلا بالأخوة، وأسلك طريق الأخوة والمؤاخاة. لأن فوقي شخصًا. وإن الله لم يرحل.

الله القوي

الوقت الذي أذكر فيه عظمته، أذكره على سبيل الحرمة والتعظيم، لا على سبيل الحاجة. إن مقام «هو الحق» أسمى كثيرًا من مقام «أنا الحق». إذا لم يكن هذا معلومًا، كانت محبتنا هذه زائفة. لماذا لا تقول الصدق؟ إلى من تحدث هذا الخبيث؟ أحضر هذا الشخص، حتى يتحدث في حضوري. إنك تلوك الكلام مواساة لهم حتى لا يغضبوا ولا يستاءوا. إذا أساء إليّ، فأنا راضٍ. فقد كان يُصِرُّ على الإساءة إليّ! كيف يتحدث الخبيث بالخير المحض؟ إن لله عبادًا هم شر محض، كل ما يقولونه يكون شرًا.

إن الله تعالى هو الذي يحمل الجميع بقوته على قول ما لا يقوله. ولو يكون جمادًا: إذا كانوا يقولون فرضًا إن الإله هو الذي يتحدث بالحرف والصوت، كنت أقول: ينبغي أن يكون هناك إله آخر يحمله على الكلام. والله هو ذلك القوي الذي يجعل الجميع يتكلمون، ولا يتحدث هو بكلمة أبدًا، وقال: تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ (٢٠٨).

(٢٠٨) تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ. المحدث: الألباني. المصدر: السلسلة الضعيفة.

خلاصة حكم المحدث: لا أصل له.

الدرر السنبة: الموسوعة الحديثية. dorar.net.

في خلق الله قهر ولطف أيضاً^(٢٠٩). اللطف كله ليست له فائدة.

﴿أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(٢١٠).

(٢٠٩) اللطف والقهر: اللطف في اصطلاح الصوفية يعني تربية المعشوق للعاشق بالرفق والمواساة، حتى يحصل له بالكمال قوة ذلك الجمال وطاقته.

والمراد من اللطف: تأييد الحق ببقاء السر، ودوام المشاهدة، وقرار الحال في درجة الاستقامة.

ومرادهم من القهر: تأييد الحق بإفناء المرادات، ومنع النفس عن الرغبات، من غير أن يكون لهم في ذلك مراد. وقالت طائفة: إن الكرامة هي أن الحق تعالى يرد العبد عن مراد نفسه إلى مراده، ويقهره بغير مراده، بحيث إذا ذهب إلى البحر في حال الظمأ، يجف البحر.

د. أنور فؤاد أبو خزام: معجم المصطلحات الصوفية، ص ١٤٥، ١٥١.

(٢١٠) ﴿أَشَدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾. سورة الفتح، جزء من الآية ٢٩.

